الفصل العاشر

المسيحية لنا

obeikandl.com

obeikandl.com

الحوار الإسلامي المسيحي

ابتدأ الإسلام حواره مع المسيحية منذ بداية الرسالة المحمدية، فقد أمر محمد عليه السلام نفراً من أتباعه بأن يلجأوا إلى راهب مسيحي هو النجاشي، حاكم الحبشة آنذاك. وبالفعل فقد التجأ إليه نفر من المسلمين وقرؤوا له سورة مريم وعرّفوه برسالة الإسلام. فأعجب بالدين الجديد، وقال لهم مقولته الشهيرة: "واللّه ليس بين ديننا ودينكم من اختلاف سوى هذا الخيط الرفيع" والحقيقة فإنّ اقتناع الرسول بعدالة النجاشي وبإيمانه يعكس أداءً محمدياً حقيقياً للحوار الإسلامي مع المسيحية.

المسيحية العربية

في حفلات تلفزيونية تعرضها فضائية ال بي سي اللبنانية نشاهد مرحاً ورقصاً وثقافة وعادات اجتماعية متنورة تعكس ثقافة وعادات المجتمع المسيحي العربي في أقصى درجات التنور والتغريب والعصرنة التي استطاع العرب أن يصلوا اليها. وهي تعكس حالة مجتمع المسيحيين اللبنانيين وهؤلاء بالضبط هم الأكثر تغرباً بين المسيحيين العرب. وفي هذه الحفلات نلمس بوضوح أن أداء التغريب هو ضرب من التمثيل والتقليد ، وهو محاولة لبس ثوب غربي وعادات وثقافة غربية عند هؤلاء المواطنين المسيحيين.ونراهم يؤدون أدوارهم بتثاقل وتصنّع. ويتضح فيهم أنهم لم ولن يكونوا غربيين.

ونحن هنا لاننتقد مواطنينا المسيحيين بل نستدل من خلال أدائهم الاجتماعي العام على أنهم يتّصفون بالشخصية العربية والشرقية والإسلامية التي نتصف بها نحن المسلمين. وفي هذه الحفلات نفسها لانستطيع أن نميّز بين الحاضرين من منهم مسلم ومن هو المسيحي، لأن الثقافة واحدة عند العرب جميعاً.

في الحرب الأخيرة ٢٠٠٦ قصفت الطائرات الاسرائيلية مناطق مسيحية، وفي كل الحروب العربية الإسرائيلية كان المواطنون المسيحيون يشاركون كأخوانهم

السنة ويذهب منهم شهداء وجرحى. وكانوا يدافعون عن هذه البلاد التي يطلق عليها العالم كله تسمية البلاد الإسلامية. وفي العام ٢٠٠١ واثر تدمير برجي التجارة العالمي سجلت اعتداءات على كنائس شرقية أقامها لبنانيون مسيحيون، واتهموا بأنهم مسلمون..!! وطوال العصور يساهم المسيحيون العرب باستمرار وبجدية في تطوير هذه البلدان التي ينتمون إليها. وإن مقولة الرسول الكريم " إنما بعثت لأتمم فيكم مكارم الأخلاق" تطبق على المسيحيين العرب بمقدار تطبيقها على غيرهم.

المسيحيون العرب مسلمون

المسيحيون العرب مسلمون بمقاييس كثيرة. فهم عاشوا وتوالدوا وتثقفوا في بيئة إسلامية. وإنّ نتاجاتهم وأهدافهم ونشاطاتهم كلها تخدم المجتمع العربي الذي هو مسلم عموماً وتدافع عنه وتحافظ عليه وعلى هويته.فهم مقاتلون في الجيوش العربية التي هي تدافع عن بلد إسلامي. وهم الذين اختلطوا بأفراد المجتمع المسلم وتزاوجوا وتوالدوا أبناء مسلمين ومسيحيين. والمسيحية العربية كعقيدة وعبادة وأخلاق تأثرت بالإسلام عبر السنين وتفاعلت مع عقائده. فحافظت على عقائد وشرائع دينية ثابتة، ويأتي ثباتها من ثبات الإسلام نفسه ومن مجاراتها للإسلام وللمسلمين. فلم نرَ مسيحية عربية صهيونية ولم نرَ مسيحية علمانوية بل نرى باستمرار مسيحية ثابتة محافظة تتميز عن كافة المدارس المسيحية الغربية التي انشقت عنها. كما حافظت الكنيسة العربية وحافظ رجال الدين المسيحيون العرب على قيم المسيحية بقوة وعناد طوال القرون الماضية وهذه المحافظة والأصالة تأتي من ملاصقتهم للإسلام.

كما شهد التاريخ انتقالات كثيرة بين المسيحية والإسلام، وهذه الانتقالات خلطت بين العقائد الدينية عند بعض المسلمين والمسيحيين. فرأينا أخوة في أسرة واحدة بينهم إسلام ومسيحيون. ورأينا مذاهب إسلامية تحمل عقائد مسيحية. ومن هذه المقاييس نرى بأنّ المسيحية العربية والتركية جزء من الكيان الإسلامي العام.

إن الخصائص والدوافع التي ميزت المسيحية العربية عن المسيحية الغربية هي بلا شك تلك العوامل نفسها التي كسبتها المسيحية من هويتها العربية ومن الإسلام.

خطوات التحاور والتقارب بين الديانتين

في العام ٢٠٠١ قام البابا يوحنا بولوس الثاني بالحجيج إلى الأماكن التي مرّت بها المسيحية، فزار الجامع الأموي بدمشق، وفي هذه الزيارة أصبح الجامع الأموي مكان عبادة مشتركاً للمسيحيين والمسلمين، حيث أدى البابا وتلامذته الصلوات المسيحية، وأدى المسلمون الصلاة الإسلامية. واستمع البابا إلى تلاوات من آيات القرآن الكريم، حيث قرأت سورة مريم. ولربما كانت تلك أول صلوات مشتركة يحضرها ويقيمها مسلمون ومسيحيون على هذا المستوى العالمي. والحقيقة أن كل ذلك الحدث كان كبيراً وله وقع عالمي كبير. ويعبّر عن سعي الطرفين الإسلامي والمسيحي للحوار والتفاهم والتعاون. وقد حضر تلك الصلوات الرئيس السوري بشار الأسد، وكان له فضل كبير في تحقيق ذلك اللقاء، إذ ليس من السهل أن يجرؤ حاكم دولة إسلامية أخرى على جمع مسلمين ومسيحيين في مسجد كبير وعلى إقامة صلوات مشتركة وأداء تسابيح وترانيم دينية إسلامية ومسيحية. وقام رئيس سوريا بشار الأسد بدعوة البابا لزيارة ضريح صلاح الدين، لكن البابا رفض زيارة الضريح. ورغم الإيجابيات الكبيرة التي عبّرت عنها تلك الزيارة البابوية للجامع الأموي، فان بعض المنتقدين من المسلمين نظروا إلى الجانب السلبي فيها وهو رفض البابا لزيارة ضريح صلاح الدين. فقد اعتبر الدكتور محمد عمارة ذلك بأنه رفض البابا من الاعتذار للمسلمين عن الحروب الصليبية كلها وعن البدء في مرحلة تفاهم جديد بين المسلمين والمسيحيين. أي أن هؤلاء المنتقدين ومن بينهم محمد عمارة كانوا يريدون أن يتخلّى البابا عن كلّ هويته بلحظة واحدة وأن يمنح المسلمين مالم يستطع الغرب منحهم إياه طوال قرون طويلة. وأن يتحقق التفاهم الإسلامي المسيحي الكامل في تلك اللحظة، لقد كانت تلك الزيارة خطوة كبيرة في طريق التفاهم والتصالح لكنها لم تكن مشروعاً تصالحياً كاملاً.

وبتاريخ ١٤ \ ١٢ \ ٢٠٠١ دعا البابا يوحنا بولوس الثاني مسيحيي العالم لصيام اليوم الأخير من شهر رمضان الإسلامي، بهدف التعبير عن التحالف مع المسلمين.وكانت تلك الدعوة خطوة إيجابية في طريق المصالحة الإسلامية المسيحية.

obeikandl.com

وفي لبنان وقف جبران تويني، (وللدلالة فقط فهو المسيحي الماروني) وقف في حشد كبير من المسلمين والمسيحيين وقال عدة مرات: (نقسم بالله العظيم مسلمين ومسيحيين بأن نبقى موحدين..) وكان ذلك القول سياسياً وقسماً حقيقياً وعهداً أمام الجميع وأمام العالم كله.

وفي مدينة القدس المحتلة، وبتاريخ ٣ آذار ٢٠٠٧ أعلن عن قيام الجبهة الإسلامية المسيحية لحماية الأماكن المقدسة. وجاء ذلك رداً على أعمال الحفريات الصهيونية تحت جدار المسجد الأقصى.وكانت المبادرة من مطران القدس الشريف، ولم نسمع عن مبادرات أخرى مهمة قام بها مسلمون في العالم كله لحماية الأماكن المقدسة في الأراضي المحتلة.

المسيحيون العراقيون

مرة أخرى يثبت المسيحيون العرب أنهم مواطنون مسالمون متعاونون مع المجتمع العربي بكافة انتماءاته ، وأنهم واعون لخطر الفتن الطائفية وبعيدون عنها كل البعد ، ففي العراق ورغم كل مطاحن الطائفية التي حلّت به، اتخذ المسيحيون موقف المسالم والمحب للعراق وأهله، والساعي للسلام الدائم فيه. ورغم أن جنود الاحتلال هم مسيحيون ويمثلون المسيحية الغربية القوية عسكرياَ. فلم يتحالف المسيحيون العراقيون معها.

وإنهم على الدوام يوافقون على كلّ الحلول التي تؤدي إلى السلام الاجتماعي والوطني. ومن هنا يتوجب علينا أن نثبّت هذ الصفات التي يتحلى بها المسيحيون العرب. فهم أبناء هذه البلاد ويسعون على الدوام لسلامها وأمنها.

في الأيام الأولى لدخول القوات الأمريكية أرض العراق، تحدثت إحدى المواطنات المسيحيات مع إذاعة مونت كارلو وشكت من اعتداءات إسلامية على حرية المسيحيين. وقالت : أجبرونا على لبس الحجاب عند خروجنا من البيت.

فسألها المذيع قائلاً: وأنتم ماهو موقفكم ؟ هل ستوافقون على لبسه ؟

أجابته السيدة: ليس في ارتدائه مشكلة لنا فنحن نوافق على ارتدائه، لكننا نخشى من أية اعتداءات طائفية.

ونتيجة لعنف الحرب وانتشار الطائفية فقد غادر العراق حوالي ٥٠ ٪ من مسيحييه كما تفيد احصائيات أيار ٢٠٠٧ . وإن استمرار هذه الهجرة يعني جعل العراق خالياً من المسيحية (لاسمح الله)، ويعني انقراض الديانة المسيحية في العراق.

منظمات يهودية تحرّض المسيحية ضد المسلمين

إثر تزايد اعتناق المسيحيين الغربيين للديانة الإسلامية، تقوم منظمات صهيونية بالدرجة الأولى بمنع اتساع هذه الظاهرة .وبنفس الوقت فهي تقوم بنشر إشاعات كاذبة في الغرب تدّعي فيها بمعاناة المسيحيين العرب من الاضطهاد في مجتمعاتهم. ففي كانون الثاني ١٩٩٦ انضم هوروفيتز إلى نيناشيا اليهودية المتعصبة رئيسة برنامج حقوق الإنسان في منظمة "بيت الحرية" ومؤلفة كتاب "عرين الأسد" الذي زعمت فيه أن مصر والسودان وإيران والسعودية وباكستان هي الدول الأكثر اضطهاداً للمسيحيين، واعتبرت أن الإسلام مثله مثل الشيوعية في اضطهاد المسيحيين. ونظم هوروفيتز ونيناشيا مؤتمراً عقد في واشنطن تحت عنوان "أثر الأسلمة على العلاقات الدولية وحقوق الإنسان" شارك فيه ستيف أمرسون التلفزيوني الأميركي المتعصب، صاحب الفيلم التسجيلي الشهير المعادي للإسلام "الجهاد في أميركا". وعبّر المؤتمر عن الخشية من تزايد دخول المسيحيين في الإسلام، وطالب بوضع برامج للقضاء على هذه الظاهرة.

وفي يناير/كانون الثاني ١٩٩٧ نظم هوروفيتز وبيت الحرية مؤتمراً آخر تحت عنوان "اليوم العالمي للتضامن مع الكنيسة المضطهدة" حضره ممثلو أربعين ألف كنيسة في الولايات المتحدة تضامناً مع المسيحيين في الدول الإسلامية.

واتهم المؤتمر كلاً من الكنائس الأميركية والإدارة الأميركية بالتقصير في إنقاذ المسيحيين العرب، ودعا إلى إنقاذ مسيحيي الشرق من "براثن الإسلام".

المسيحية لنا

قال البابا يوحنا بولس الثاني في حديثه عن التعددية الدينية والمذهبية في لبنان: ".. هذه التعددية الطائفية في لبنان هي رسالة إنسانية للبنانين.."

المسيحية لنا نحن المسلمين والمسيحيين العرب، وهي ديانة سماوية انطلقت من أرضنا العربية التي يعتبرها المسلمون والمسيحيون أرضاً مقدسة، ومن هنا انتشرت إلى بلدان العالم كله. وعندما تعددت مدارسها ومذاهبها في الغرب بقيت المسيحية العربية محافظة على أصالتها وأصالة عقيدتها.

تطوير الحوار الإسلامي المسيحي

انه لمن الضروري أن يسعى المسلمون لدفع الحوار الإسلامي المسيحي نحو الأمام وتطويره ودعمه والقيام بخطوات كبيرة وجريئة، كتطوير العلاقات الاجتماعية والتزواج، ومشاركة كبيرة ورسمية في الاحتفالات الدينية عند المسلمين والمسيحيين. فمن الممكن أن تقوم وفود إسلامية رسمية بحضور المناسبات الدينية المسيحية وبالمثل تقوم وفود مسيحية رسمية بحضور مناسبات دينية إسلامية. وندعو الأفراد مسيحيين ومسلمين بأن يقوموا بالتواصل والحوار فيما بينهم، وأن يكونوا هم الأداة المنفذة لهذا الحوار في ظل غياب الحوار أوتعطله على مستوى رجال الدين. يزور الجامع الأموي بدمشق سياح ومواطنون عديدون ومثل ذلك ندعو المسيحيين السوريين لزيارته، لا ليصبحوا مسلمين بالطبع بل ليعبّروا عن مشاعر الحوار الديني وليزيدوا من التلاحم الاجتماعي في البلاد. وبنفس الوقت ليتعرفوا على الأجواء الإسلامية التي يعيشها أخوانهم المسلمون.

العقيدة المسيحية

العقيدة المسيحية هي الرسالة التي أُنزلت على عيسى بن مريم مكمِّلة لرسالة موسى عليهما السلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، وداعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديدين، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات عديدة. وقد مرّت النصرانية بعدة مراحل وأطوار تاريخية مختلفة.

المسيحية دين سماوي

المسيحية دين سماوي حمل رسالته السيد المسيح عيسى بن مريم الذي ولد وتوفي في فلسطين عن عمر يناهز الثلاثين، وتابع رسله وتلامذته نشر رسالته في فلسطين أولاً ثم في سورية وفي العالم، ولقد تحمل المسيحيون اضطهاد الرومان الوثنيين عندما حاول بطرس الرسول وبولس نشر المسيحية في روما فأحرق نيرون الإمبراطور الروماني المجنون روما وقضى على المسيحيين. ولكن المسيحية استمرت تمارس من بعض المؤمنين بها بالخفاء وفي دياميس تحت الأرض، وكثيراً ما عطف عليهم بعض الأباطرة وبخاصة الإمبراطور السوري "كارا كالا"، وهكذا تزايد عددهم وظهرت كنائسهم في عصر "ديوقلسيان" حتى جاء قسطنطين فأعلن المسيحية دين الدولة في القسطنطينية ثم أعلنت كذلك في روما بعد أربعين سنة.

لقد اتبع قسم كبير من السوريين العقيدة المسيحية، وتشهد الآثار في المدن المنسية في سلسلة جبال بيلوس على ازدهار الدين المسيحي وذلك من خلال الأديرة والكنائس التي أنشئت خلال الحقبة من القرن الرابع إلى القرن السابع، كما تتجلى في مدينة الرصافة سرجيو بوليس وفي قلعة سمعان العمودي، وفي كنائس حوران ودمشق وحمص وأديرة وكنائس القلمون والبادية. ومع ذلك فإن سكان سورية حافظوا على لغتهم السورية السريانية وهي آرامية الجذور. وكانت إنطاكية عاصمة المنطقة الشمالية كما كانت أفاميا عاصمة المنطقة الجنوبية.

obeikandi.com

مسيحية المرحلة الأولى

وهي العقيدة المُنزَّلة من عند الله التي جاء بها عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، ويعتقد المسلمون بأنها ديانة الإسلام التي أنزلها الله على آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليه السلام.وهذا الاعتقاد الإسلامي لاينقص من (الاعتقاد المسيحي) شيئاً بل يزيده بعداً وشمولية، ويجعل المسيحية جزءاً من المشروع الإلهي الكبير المخصص للبشرية.

تيودورا

وفي عصر "جوستنيان" ٥٢٧-٥٦٥م انتشر مذهب اليعاقبة مذهب الراهب يعقوب البرادعي وكانت تيودورا السورية المولودة في منبج زعيمة هذا المذهب الذي انتشر بين السوريين والغساسنة على عكس المذهب الأرثذوكسي وهو مذهب القسطنطينية.

ومنذ عام ٣٩٢م كانت سورية جغرافياً تدخل في نطاق الإمبراطورية البيزنطية، ولكن تعدد المذاهب المسيحية فيها أدى إلى كثير من المنازعات. ومن جهة أخرى فإن الحروب التي كانت تجري بين بيزنطة والساسانيين، كانت سورية أحياناً مسرحاً لها، وكان الغساسنة يشاركون بيزنطة بعد أن كانوا حلفاء روما بينما كان المناذرة في الحيرة يشاركون الفرس. مما دفع جوستنيان إلى عقد الصلح مع الفرس سنة ٥٣٢م.

بداية الانشقاق المسيحي

فيما بين عام ٥١ — ٥٥م عقد أول مجمع يجمع بين الحواريين تحت رئاسة يعقوب ابن يوسف النجار، وفيه تقرر: استثناء غير اليهود من الالتزام بشريعة التوراة على أنها خطوة أولى يُلزم بعدها بشريعة التوراة. كما تقرر فيه تحريم الزنا، وأكل المنخنقة، والدم، وما ذُبح للأوثان، بينما أبيحت فيه الخمر ولحم الخنزير والربا.

وعاد بولس بصحبة برنابا إلى أنطاكية مرة أخرى، وبعد صحبة غير قصيرة انفصلا وحدث بينهما مشادة عظيمة نتيجة لإعلان بولس نسخ أحكام التوراة وقوله إنها:

"كانت لعنة تخلَّصنا منها إلى الأبد" و"إن المسيح جاء ليبدل عهداً قديماً بعهد جديد".

وحدثت خلافات حول فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة، أو ابن الإله، أو الروح القدس، وحول عقيدة الصلب والفداء، وقيامة المسيح وصعوده إلى السماء؛ ليجلس على يمين الرب . وهكذا كرر بولس نفس الأمر مع بطرس الذي هاجمه وانفصل عنه مما أثار الناس ضده، لذا كتب بولس رسالة إلى أهل ملاطية ضمنها عقيدته ومبادئه، ومن ثم واصل جولاته بصحبة تلاميذه إلى أوروبا وآسيا الصغرى ليلقى حتفه في روما في عهد نيرون سنة ٦٥م. وقد استمرت المقاومة الشديدة لأفكار بولس عبر القرون الثلاثة الأولى: ففي القرن الثاني الميلادي تصدى هيولتس، وإيبيي فايتس، وأوريجين لها، وأنكروا أن بولس كان رسولاً، وظهر بولوس الشمشاطي في القرن الثالث، وتبعه فرقته البولوسية.

المسيحية الديرية

في خلال هذه المرحلة ظهرت الرهبنة في النصرانية في مصر أولاً على يد القديس بولس الطبي ٢٤١ – ٣٥٦م والقديس أنطوان المعاصر له، إلا أن الديرية – حركة بناء الأديرة – نشأت أيضاً في صعيد مصر عام ٣١٥ – ٣٢٠م على يد القديس باخوم، ومنها انتشرت في الشام وآسيا الصغرى. وفي نفس الوقت دخلت غرب أوروبا على يد القديس كاسليان ٣٧٠ – ٤٢٥م ومارتن التوري ٣١٦ – ٣٨٧م، كما ظهر مجموعة من الآباء المتأثرين بمدرسة الإسكندرية الفلسفية (الأفلاطونية الحديثة) وبالفلسفة الغنوصية، مثل كليمنت الإسكندري ١٥٠ – ٢١٥م أوريجانوس ١٨٥-٢٤٥م وغيرهما.

ثبات المسيحية العربية وتلاشي مسيحية الغرب

من الملاحظ أنه عبر تاريخ المسيحية الطويل ظلّت المسيحية العربية محافظة على عقائدها مثبتة لها، ولم تسمح بإحداث أي خرق لها طوال تلك القرون الطويلة. كما ظلّت المسيحية العربية تمنع كافة الخروقات بقوة. وهذا الثبات له صلة أكيدة بجوار المسيحية العربية للإسلام ولأهله الذين حافظوا على ثبات الإسلام. وهذا أحد جوانب التأثر المسيحي بالإسلام. ونعتقد بحتمية استمرار هذا الثبات عند المسيحية العربية و مما سيؤدي بالمستقبل إلى مواجهتها الحتمية مع المسيحية الغربية تلك التي شهدت الكثير من التحوّلات والانشقاقات.

انفصال الكنيسة القبطية مذهبيًّا

لم يعترف أسقف روما ليو الأول بقرارات مجمع أفسس الثاني ٤٤٩م وسعى الإمبراطور مركيانوس لعقد مجمع آخر للنظر في قرارات ذلك المجمع، فوافق على عقد المجمع في القسطنطينية، ثم في كلدونية ٤٥١م لمناقشة مقالة بابا الإسكندرية ديسقورس: من أن للمسيح طبيعتين في طبيعة واحدة (المذهب الطبيعي – المونوفيزقية)، ليتقرر لعن ديسقورس وكل من شايعه ونفيه، وتقرير أن للمسيح طبيعتين منفصلتين. فكان ذلك دافعاً أن لا تعترف الكنيسة المصرية بهذا المجمع ولا بالذي يليه من المجامع. ومنذ ذلك التاريخ انفصلت في كنيسة مستقلة تحت اسم الكنيسة المرقسية – الكنيسة الأرثوذكسية – أو القبطية تحت رئاسة بطريرك الإسكندرية، وانفصلت معها كنيسة الحبشة وغيرها، ليبدأ الانفصال المذهبي عن الكنيسة الغربية.

obeikandl.com

الكنيسة الأرثوذكسية المصرية

يعتقد أصحابها أن مؤسسها هو مرقس الرسول عام ٤٥ م. وظهرت بوادر الانفصال المذهبي للكنيسة المصرية، منذ أن جعل الإمبراطور ثيودوسيوس كنيسة القسطنطينية هي الكنيسة الرسمية للإمبراطورية الشرقية عام ٣٨١م وأن كنيسة الإسكندرية تليها في المرتبة، مما دفع بطريرك الإسكندرية كيرلس عام ٤١٢م إلى تولي زعامة الشعب ضد الإمبراطور وعماله في مصر. ثم زادت هوَّة الخلاف بين الكنيستين على إثر إعلان نسطور – أسقف القسطنطينية – مقالته التي تصدى لها كيرلس بطريرك الإسكندرية في مجمع أفسس عام ٤٣١م الذي استطاع استصدار حكماً ضد نسطور باللعن والطرد.

بعث فلافيانوس بطريرك القسطنطينية مقالة نسطور مرة أخرى فتصدى لها ديسقورس بطريرك الإسكندرية في مجمع أفسس عام ٤٤٩م والذي لم يعترف به أسقف روما، فعقد لذلك مجمع كلدونية عام ٤٥١م ليقرر لعن ديسقورس ونفيه، بل وتعيين بطريرك ملكاني خلفاً له، الأمر الذي دفع الكنيسة المصرية لإعلان عصيانها وعدم اعترافها بمجمع كلدونية عام ٤٥١م ولا بقراراته، مما سبَّب عودة الاضطهاد مرة أخرى لحمل الكنيسة المصرية على اتباع عقيدة كنيسة القسطنطينية والتي توافقها عليها الكنيسة الغربية.

هكذا عاشت الكنيسة المصرية سلسلة من المنازعات حول تعيين الأسقف، إلى أن تم الاتفاق عام ٤٨٢م على أن يختار المصريون أسقفهم دون تدخل من الإمبراطور، فكان هذا التاريخ يمثل بداية الانفصال الحقيقي عن كنيسة القسطنطينية.

الأقباط رحّبوا بالإسلام

ما أن ظهرت بشائر الفتح الإسلامي منطلقة من الجزيرة العربية حتى رحبت بها الكنيسة المصرية، للتخلص من ظلم واضطهاد إخوانهم مسيحيي الإمبراطورية البيزنطية.

obeikandl.com

وما إن وطئت طلائع الفتح الإسلامي أرض مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، حتى أُعيد بنيامين بطريرك الكنيسة المصرية إلى كرسيه، واجتمع به عمرو بن العاص ووافقه على ما أبداه من مقترحات لحفظ كيان الكنيسة، كما وافقه على تشييد ما دعت إليه الحاجة من الكنائس وتجديد إصلاح البعض الآخر.

تأثر الكثير من النصارى المصريين بعدالة الإسلام، وسماحة مبادئه، حيث ترك لهم حق الاعتقاد وحرية ممارسة العبادة والشعائر الخاصة بهم، كما سمح لهم بالمشاركة في بعض وظائف الدولة الإسلامية، مما فتح قلوبهم لقبول الحق، والدخول في دين الإسلام أفواجاً، وبذلك صارت اللغة العربية لغتهم ولغة البلاد، وأصبح منهم العلماء والقادة فيما بعد.

وفي سنة ١٢١٩م قامت الحملة الصليبية الخامسة بقيادة لويس التاسع وحاولت إخضاع الكنيسة المصرية الأرثوذكسية لمذهب الكنيسة الغربية الكاثوليكية. وقد تمكنت في بادئ الأمر من احتلال مدينة دمياط وفرض بطريرك كاثوليكي من الآباء الفرنسيسكان عليها، ليمثل أول وجود كاثوليكي في مصر، فما أن هب المسلمون لصد العدوان حتى انهزمت الحملة وأُسر قائدها. وفي سنة ١٧٦٩م أعادت الكنيسة الغربية الكَرَّة، ولكن هذه المرة عن طريق المفاوضات والمصالحة، وعرض انضمام الكنيسة المصرية إليها، ليقابلها بطريرك الكنيسة المصرية يؤانس الثامن عشر بالرفض التام.

بدأت بوادر حركة إصلاح وتطوير الكنيسة المصرية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وبخاصة في عهد البطريرك كيرلس الرابع ١٨٥٤ – ١٨٦٢م .التي زاد نشاطها واستطاعت تأسيس مراكز للدعوة إلى مذهبهم في صعيد مصر بوجه خاص. وكانت استجابة بعض الأرثوذكس لهم دافعاً للقيام بهذه الإصلاحات وافتتاح مدارس للبنين والبنات، وإنشاء المدرسة البطريركية، بالإضافة إلى إدخال أول مطبعة إلى مصر.

ObeiKandl.com

ثم تصدى البطريرك ديمتريوس الثاني ١٨٦٢- ١٨٧٤م للتبشير الكاثوليكي والبروتستانتي في مصر، بإصدار قرارات الحرمان ضد المرسلين الأمريكيين ومن يتصل بهم من الأقباط.

وازدادت حملة الكنيسة المصرية ضراوة ضد إرساليات الكنائس الغربية في مصر في عهد البطريرك كيرلس الخامس ١٨٧٤ – ١٩٢٧م حيث أغلق مدارسهم، وأصدر قرارات تَعتبر هذه الكنائس وإرسالياتها وتابعيها ومن ينضم إليها من الأقباط مهرطقين، ولم يفلح تدخل القنصل الأمريكي وليم تاير والمنصِّر جون هوم في إقناع البطريرك من أن نشاطهم غير موجه ضد الأرثوذكس.

يُعد حبيب جرجس ١٨٦٧-١٩٥١م من أبرز رواد الإصلاح والتطوير في الكنيسة المصرية، حيث أنشأ مدارس الأحد والمدرسة الإكليريكية، ودعم وساهم في العديد من الأنشطة الاجتماعية والثقافية، فظهرت المجلات والجرائد الدينية المسيحية، كما أنشأ العديد من المدارس والمكتبات ودور النشر التي تهتم بنشر التعاليم المسيحية بين المسلمين. وازدادت تبعاً لذلك عدد المؤسسات الاجتماعية المختلفة التي تخدم الأرثوذكس، كل هذا بغية التصدي للإرساليات التبشيرية الغربية. ومما لاشك فيه أنّ تلك الأنشطة الثقافية والفكرية كانت قد ساهمت في تحريك الفكر الإسلامي نفسه، وفي تطوير الطباعة ودور النشر في مصر كلها.

وفي عهد الخديوي إسماعيل دخل عدد كبير من الأورثوذكس القضاء والمجالس النيابية وكلّف الأقباط بالخدمة العسكرية، وازدهرت المسيحية القبطية آنذاك وبرز فيها أشخاص عديدون ومنذ ذلك العهد دخلت القبطية مرحلة جديدة في تاريخها.

تطور الكنيسة القبطية في عهد كيريلوس

خطا البطريرك كيرليوس السادس ١٩٥٩ – ١٩٦٩م خطوات جديدة نحو تطوير الكنيسة؛ حيث أنشأ العديد من الأسقفيات، منها أسقفيات الخدمات

ومهمتها العلاقات الخارجية والاتصال بالكنائس الأخرى، سواء كانت الكنائس الغربية ومؤسساتها أو بالكنائس القبطية خارج مصر، وأسقفية للخدمات والشئون المالية وإصدار طبعات جديدة للكتاب المقدس، ووضع دائرة معارف قبطية، كما أنشأ أسقفية للتربية الكنسية مهمتها الإشراف على كليات اللاهوت ومدارس الأحد وجميع شؤون التعليم والتربية الكنسية. واستغلالاً للثقل الدولي للكنيسة بعد انضمامها إلى مجلس الكنائس العالمي، ومجلس الكنائس العالمية العاملة في أفريقيا، وتعاونها مع مجلس كنائس أمريكا زاد الضغط على الحكومة لإلغاء النظام الهيومانوي .وأنشئت العديد من الكنائس.

وفي عام ١٩٧١م تولى البابا شنودة الثالث رئاسة الكنيسة المصرية واسمه نظير جيد، فقد تخرج من كلية الآداب جامعة القاهرة، والتحق بالقوات المسلحة كضابط احتياط، ثم عمل صحفياً وكاتباً وشاعراً، وتسمى باسم شنودة الثالث. وفي عهده زاد التوجه السياسي للكنيسة المصرية وتقديم مفهوم جديد للنصرانية على أنها دين ودولة، مستخدماً في ذلك سياسة الانتشار الدولي، والتقارب مع الكنائس الغربية ومؤسساتها لدعم السياسات الداخلية للكنيسة وتحقيق أغراضها، كما أعلن عن تنظيمات جديدة للكنيسة، ودعا إلى تطوير الكلية الأكليريكية وإعادة الكنيسة إلى مكانتها العالمية، فزاد اهتمامه بإنشاء الكنائس في الخارج وعيّن لها الأساقفة،وتحت رئاسة وإشراف البابا شنودة تعددت الاجتماعات ذات الصبغة الدينية والسياسية، التي تطالب بإعطاء الكنيسة الأرثوذكسية في مصر دوراً فاعلاً في السياسة، وأن يكون لها نصيبها من المناصب الوزارية.والموافقة على إنشاء جامعة للأقباط على غرار جامعة الأزهر. وزادت في عهده أيضاً وبشكل ملحوظ النشرات والكتب، وحملات التنصير، مما أشعل المواجهات بين المسلمين والنصارى فيما عرف بأحداث الفتنة الطائفية (الزاوية الحمراء ومناطق مختلفة من صعيد مصر) الأمر الذي دعا الرئيس السادات إلى عزله ونفيه في دير وادي النطرون، وقد أفرج عنه وعاد إلى كرسيه في عهد الرئيس مبارك.

التصوف الإسلامي عند الأقباط

في العصور الوسطى كان التصوف هو الأقرب إلى طبيعة التدين المصرى، لذا انتشر فيها وساد منذ القرن الخامس الهجرى . فقد احتوى التصوف كل العقائد المصرية القديمة وصاغها فى أشكال تحمل رموزاً إسلامية. واشترك المصريون جميعاً من أقباط ومسلمين فى تأدية نفس الطقوس وفى نفس المناسبات، كالموالد والقبور المقدسة والاعتقاد فى الأولياء والقديسين، وقد فصلنا الحديث فى ذلك فى كتابنا "شخصية مصر بعد الفتح الإسلامى"(٣) وفى هذا الإطار كان التسامح مع الآخر، و"التسليم بحالته وطريقته" هو دستور التعامل فى مصر، بينما كان "تغيير المنكر"بالقوة هو الدستور الآخر خارج مصر، حيث كان تغيير المنكر يتحول إلى ثورات عارمة فيما بين إيران والشام. والخلاصة: أن مصر كانت متفردة فى العصور الوسطى بتدينها السمح وصبرها على جور الحكام، والغريب أن يدخل العالم إلى العصر الحديث ويخفت التعصب الدينى وتنتهى الحروب الدينية وتنحسر مفاهيم العصور الوسطى ولكنها تعود إلى مصر فى القرن العشرين الميلادى وهى تحمل معها نفس الملامح التى كانت رائجة خارج مصر فى القرون الوسطى.

وإن استمرار التصوف الإسلامي عند الأقباط حتى يومنا هذا لهو دليل على الوحدة الثقافية عند المصريين، وعلى تفاعل وتأثّر الأقباط بالإسلام.

أمريكا تحاول تسييس الأقباط

في مطلع أيلول ٢٠٠٧ صدر في الولايات المتحدة تقرير جاء فيه أن الأقباط يعانون من تمييز عنصري وطائفي في مصر. ورداً على ذلك التقرير التقى البابا شنودة في الثامن عشر من الشهر مع وزيرة الخارجية المصرية وأخبرها بأنه لايوافق على التدخل الأمريكي في شؤون الأقباط. وأنه ينتقد التقرير الأمريكي ويعتبره لايتوافق مع الواقع المصري. وهذه المرة أيضاً يعبّر الأقباط عن انتمائهم الصحيح للمجتمع العربي المصري.

الخلاف الحكومي المصري مع الأقباط ونتائجه

بالعودة إلى العقود الماضية نلاحظ استمرار الخلاف الحكومي المصري مع الأقباط. فقد اصطدم معهم عبد الناصر. وتلاه في الصدام أنور السادات الذي اعتقل البابا شنودة وتلاه أيضاً حسني مبارك الذي زج الكثير منهم في السجون.

هذا الصدام الحكومي مع الأقباط انعكس على المجتمع المصري ككل. وبرر للمصريون حمل المشاعر الطائفية تجاه الأقباط. وهو الصدام الذي صنع هذه المشاعر والتي اختلطت بالمواجهات وأعمال القتل والحرق وغير ذلك. في حين نرى أن الدول العربية التي تحمي مسيحييها تقلّ فيها أو تنعدم المشاعر الطائفية.

ومما تقدم تصبح الحكومات المصرية المتعاقبة هي المسبب في الأحداث الطائفية في مصر.

المسيحيون الكلدان

الكلدان من الأقوام السامية الذين يتحدثون باللغة الآرامية يعيشون في شمال العراق و جنوب شرقي تركيا و شمال غربي إيران. عاش الكلدان منذ القدم بالقرب من عاصمة الأشوريين، نينوى التي تقع في العراق و تسمى بالوقت الحاضر بمدينة الموصل.

الاسم "كلدي"، ظهر في وثائق التاريخ حوالي ٩٠٠ قبل الميلاد. في البداية نجد الكلدان كقبائل آرامية في بابل. وفي عام ٦٢٥ قبل الميلاد فتحوا بابل وأسسوا إمبراطورية بابلية كلدانية عظيمة استمرت لغاية عام ٥٣٩ قبل الميلاد حيث سقطت على يدّ كورش الفارسي. يذكرون في سفر أيوب (١٧:١) من العهد القديم. في عام ٦٢٧ قبل الميلاد أصبح نابوبالاسار، بمساعدة القبائل الكلدانية ، ملكاً على بابل عندما أصبح نبوخذنصر الكلداني (٦٠٤-٥٦٢) ملكاً على بابل وصلت بلاد ما بين النهرين إلى ذروة العظمة والمجد وأصبحت العاصمة بابل حسب الكتاب المقدس "بهاء الممالك وزينة فخرالكلدانيين" (إشعيا ١٣:١٩)، "بابل كأس ذهب بيد الرب تسكر

كل الارض. من خمرها شربت الشعوب من أجل ذلك جنت الشعوب" (ارميا ٧:٥١). وكانوا من اوائل من اعتنقوا المسيحية حيث كانو حتى سنة ١٥٥٢ جزءاً من الكنيسة الشرقية الآشورية إلى أن انفصلوا و قاموا بتاسيس الكنيسة الكاثوليكية الكلدانية. يقدر نفوس الكلدان بحوالي ٢,٥ مليون نسمة في مختلف بقاع العالم حيث يعيش حوالي ١٠٠٠٠٠ في الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة في مدينة ديترويت في ولاية ميشيغان. وفي العراق يحكى اليوم عن الخوف من اختفاء الكلدان بالكامل بسبب حروب الإبادة والتصفية والتهجير التي يتعرضون لها.

المسيحية المارونية

المارونية، طائفة من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين، قالوا إن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة، ينتسبون إلى القديس مارون ويعرفون باسم الموارنة متخذين من لبنان مركزاً لهم.

وتنتسب هذه الطائفة إلى القديس مارون الذي عزل نفسه في الجبال والوديان مما جذب الناس إليه مشكّلين طائفة عرفت باسمه، وكانت حياته في أواخر القرن الرابع الميلادي فيما كان موته حوالي سنة ٤١٠م بين أنطاكية وقورس.

وقع خلاف شديد بين أتباع مارون وبين كنيسة الروم الأرثوذكس مما اضطرهم إلى الرحيل عن أنطاكية إلى قلعة المضيق قرب أفاميا على نهر العاصي مشيدين هناك ديراً يحمل اسم القديس مارون.وقع كذلك خلاف آخر في المكان الجديد بينهم وبين اليعاقبة الأرثوذكس من أصحاب الطبيعة الواحدة عام ٥١٧م مما أسفر عن تهديم ديرهم فضلاً عن مقتل ٣٥٠ راهباً من رهبانهم.

وخلال فترة الرحيل نالهم عطف الإمبراطور مرقيانوس الذي وسّع لهم الدير عام ٤٥٢م. وعطف الإمبراطور يوستغيان الكبير ٥٢٧-٥٦٥م الذي أعاد بناء ديرهم بعد تهديم اليعاقبة له. وكذلك عطف الإمبراطور هرقل الذي زارهم سنة ٦٢٨م بعد انتصاره على الفرس.

احتكم الموارنة واليعاقبة عام ٦٥٩م إلى معاوية بن أبي سفيان لإنهاء الخلاف بينهم، لكن الخصومة استمرت، إذ حدثت حروب انتقامية بين الطرفين مما أسفر عن هجرة الموارنة إلى شمالي لبنان وهو المكان الذي أصبح موطناً لهم فيما بعد.

ظهر في موطنهم الجديد بلبنان القديس يوحنا مارون الذي يعتبر صاحب المارونية الحديثة.

ولد يوحنا مارون في سروم قرب أنطاكية، وتلقى دراسته في القسطنطينية.وعيّن أسقفاً على البترون على الساحل الشمالي من لبنان.

يعتقد الموارنة بأن في المسيح طبيعتين ولكن له مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد.ولم تقبل الكنائس النصرانية الأخرى هذا الرأي، فدعوا إلى مجمع القسطنطينية الثالث الذي عقد سنة ٦٨٠م وقد حضره ٢٨٦ أسقفاً وقرروا فيه رفض هذه العقيدة وحرمان أصحابها ولعنهم وطردهم وتكفير كل من يذهب مذهبهم. وتصدى يوحنا مارون بجيش من الموارنة لجيش قاده يوستغيان الثاني الذي أراد هدم معابدهم واستئصالهم إلا أن الموارنة هزموه في أميون مما أظهر أمرهم كأمة جبلية أصيلة ذات شخصية مستقلة. ثم تحايلت كنيسة روما بعد ذلك عليهم في سبيل تقريبهم منها حيث قام البطريرك الماروني أرميا العمشيتي بزيارة لروما حوالي سنة ١١١٣م وعند عودته أدخل بعض التعديلات في خدمة القداس وطقوس العبادة وسيامة الكهنة. ولقد زاد التقارب بينهما حتى بلغ في عام ١١٨٢م إعلان طاعتهم للكنيسة البابوية، أما في عام ١٧٣٦م فقد بلغ التقارب حد الاتحاد الكامل معها فأصبحت الكنيسة المارونية بذلك من الكنائس الأثيرة لدى باباوات روما. وكان لويس التاسع أول صديق فرنسي لهم، إذ تقدم إليه عندما نزل إلى البر في عكا وفدٌ مؤلف من خمسة عشر ألف ماروني ومعهم المؤن والهدايا، وقد سلمهم بهذه المناسبة رسالة مؤرخة في ١٢٥٠/٥/٢١م فيها تصريح بأن فرنسا تتعهد بحمايتهم فقد جاء فيها: "ونحن مقتنعون بأن هذه الأمة التي تعرف باسم القديس مارون هي جزء من الأمة الفرنسية". ومن هنا نشأت واستمرت العلاقة التاريخية الحميمة مع الفرنسيين. واستمر هذا التعاطف من الغرب مع الموارنة في الأجيال التالية وذلك عندما أرسل

obeikandi.com

نابليون الثالث فرقة فرنسية لتهدئة الجبل عام ١٨٦٠م وكذلك بعد الحرب العالمية الأولى عندما صار لبنان تحت الانتداب الفرنسي. ومن مشاهير المارونيين العرب: تيوفيل (تيوفيلوس) بن توما من شمال سوريا، ماروني، كان يعمل منجِّماً في قصر الخليفة العباسي المهدي ٧٧٥-٧٨٥م كما قام بترجمة إلياذة هوميروس. والمؤرخ اسطفانوس الدويهي المشهور، الذي توفي سنة ١٧٠٤م. والبطريرك جرجس عميرة، الذي ألّف أول غراماطيق سرياني واضعاً قواعده باللاتينية تسهيلاً على المستشرقين دراسة هذه اللغة. ويوسف حبيش وبولس مسعد ويوحنا الحاج والبطريرك إلياس الحويك. ومن الأساقفة المطران جرمانوس فرحان ويوسف سمعان السمعاني ويوحنا حبيب ويوسف الدبس. ومن بيوتاتهم المعروفة آل خازن ودحداح وحبيش والسعد وكرام والظاهر والبستاني والشدياق والنقاش والباز.. ومن زعاماتهم المعاصرة: آل جمَيِّل، وشمعون، وفرنجية، وإده، وغيرهم، ويذكر أن المطربة العربية الكبيرة فيروز مارونية أصيلة غنّت لمكة وللقدس ولدمشق ولبيروت. وقد اتسمت كل عطاءاتها بتعزيز التلاحم بين المسيحية والعروبة والإسلام.

ومن تنظيماتهم السياسية الحزبية العسكرية حالياً: حزب الكتائب وحزب الأحرار. وهم بشكل عام يحافظون على أصالتهم وعروبتهم وعلى العلاقة الحميمية الطبيعية التي تربطهم بالمسلمين كافة. ومنذ عام ١٩٤٣م حتى اليوم استقر الأمر بأن يكون رئيس الجمهورية اللبنانية من الطائفة المارونية وذلك بموجب الميثاق الوطني الذي تم فيه الاتفاق شفوياً بين المسلمين والنصارى حول توزيع المناصب الرئيسية للدولة اللبنانية على مختلف الطوائف الدينية فيها.

المعتقدات المارونية

أهم نقطة تميزهم عن بقية الطوائف النصرانية هو معتقدهم بأن للمسيح طبيعتين وله مشيئة واحدة وذلك لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد. وعقيدة المشيئة الواحدة التي قال بها بطريرك الإمبراطور هرقل أيضاً ٦٣٨م ليوفق بين عقيدة أصحاب الطبيعة الواحدة الذين يشكلون الأكثرية من رعاياه النصارى في سوريا

وبين أصحاب العقيدة الأرثوذكسية للكنيسة البيزنطية، ويعتقدون أن خدمة القداس عندهم مأخوذة عن تلك الخدمة التي ينسبونها إلى القديس يعقوب، كما يعتقدون أن هذه الخدمة إنما هي أقدم خدمة في الكنيسة المسيحية إذ إن أصولها ترجع إلى العشاء الرباني الأخير.

وما تزال الكنيسة المارونية تحتفظ باللغة السريانية في القداس إلى يومنا هذا وتعبّر بذلك عن أصالتها المسيحية الشرقية.

منذ القرن الخامس عشر الميلادي أصبح دير قنُّوبين شمالي لبنان فوق طرابلس المبني في صخر من صخور وادي قاديشا (أي المقدس) مقراً للبطريركية المارونية، كما أصبحت بكركي المبنية فوق جونية المقر الشتوي حتى يومنا هذا، إذ لا يزال سيد بكركي. يلقب ببطريرك أنطاكية وسائر الشرق ؛ ذلك لأنه مستقل عن سائر البطاركة الشرقيين،

إعادة تكوين الكنيسة

بعدما خرج المسلمون من الأندلس مندحرين خاسرين. التفتت الكنيسة الأوروبية إلى ترميم وإعادة بناء الذات والهوية. خاصة وكان اتباع العقيدة الإسلامية قد انتشر في أوساط المجتمع الاسباني وغيره. وإن المفاهيم الإسلامية قد تغلغلت في داخل الكنيسة وضمن العقائد المسيحية نفسها. وظهرت في أوروبا بوادر النهضة العلمية والفكرية المتأثرة بحضارة المسلمين في الأندلس.ففي عهدهم تمت ترجمة العلوم الإسلامية واليونانية إلى اللاتينية، وبرز عدد من العلماء الذين بينوا بطلان آراء الكنيسة العلمية وبخاصة في الجغرافيا والفلك، فتصدت لهم الكنيسة استناداً على ما ورد في الإصحاح الخامس من إنجيل يوحنا:

"إن كان أحد لا يثبت فيّ يطرح خارجاً كالغصن فيجف، ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق".

وتحت ذريعة اعادة تكوين الكنيسة وتنقية الفكر المسيحي من الفكر الجديد الذي يهدده، أبادت الكنيسة مئات الآلاف من السكان الذين يعتنقون الإسلام، واضطر قسم كبير منهم إلى اعتناق المسيحية ليحافظ على حياته.

واستخدمت ضد العلماء رقابة على الكتب والمطبوعات لئلا يذيعوا آراءً مخالفةً للعقيدة الكاثوليكية، واتسع تشكيل محاكم التفتيش ضدهم، وقد حكمت تلك المحاكم في الفترة من ١٤٨١-١٤٩٩م على تسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بأحكام مختلفة، كما أصدرت قرارات تحرِّم قراءة كتب جاليليو وجيوردا نويرنو، وكوبرنيكوس، ونيوتن لقوله بقانون الجاذبية الأرضية، وأمرت الكنيسة بحرق كتبهم وابادة فكرهم. وقد أحرق بالفعل الكاردينال إكيمنيس في غرناطة ثمانية آلاف كتاب مخطوط لمخالفتها آراء الكنيسة. وكان القسم الأكبر منها إسلامياً.

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر، ازداد غضب الناس والعلماء والفلاسفة من سوء سلوك رجال الكنيسة، ومن الرقابة التي فرضوها على المطبوعات، وتوسُّعهم في استخدام محاكم التفتيش، ومبالغتهم في القسوة والتعذيب ضد المخالفين والعلماء، مما أثار الفلاسفة من أمثال ديكارت وفولتير، الذين وجّهوا سهام النقد إلى الكنيسة وآرائها، ودعوا إلى إعلاء العقل مقابل النصوص الرئيسية، بفرض أن العقل يستطيع إدراك الحقائق العلمية، والخير والشر. وقد تأثر كلّ من روسو وفولتير بالفكر الإسلامي، فكانت نتاجات جان جاك روسو كلها تدعو إلى تطوير الفكر المسيحي، ومنح حريات متعددة للمواطنين: وكانت أول عبارة في كتابه الشهير (العقد الاجتماعي) تقول: ولد الإنسان حراً فلماذا نستعبده. وكتب فولتير (رسائل فلسفية) وفيه انتقادات عنيفة للكنيسة المتعصبة ورسم أفكار وصور نبيلة للمجتمع والسلطة والعقيدة، وكانت كل هذه الصور تتفق مع الإسلام ومفاهيمه. كما وكتب رواية (كانديد المتفائل) وبدا أن معظم أبطال الرواية مسلمون، وأسماؤهم إسلامية، وأغلب أماكن الحدث هي بلدان إسلامية، وأهم ما في الرواية أن كافة الدروس التي استخلصها فولتير في الإيمان والاعتقاد والحب والسعادة وإصلاح السلطة، كلها كانت تتفق مع العقيدة الإسلامية بل وكانت

متأثرة بها بوضوح. ومن أواخر أعمال فولتير مسرحية بعنوان (محمد) وقد صوّر فيها شخصيات الصف الأول من عهد الإسلام بما فيهم شخصية الرسول محمد وشخصية عمر وفاطمة إضافة إلى شخصيات أعداء الإسلام الجاهليين. وقد عرضت مسرحيته لمدة ثلاثة أيام ومنعت بعدها من العرض. إذ وجّهت إليه اتهامات بترويج الفكر الإسلامي وبمهاجمة الكنيسة، وعندما توفي الفيلسوف الكبير فولتير رفضت الكنيسة دفنه في مقابر العظماء، بحجة اتهامه بالأسلمة. ونحن اليوم لانمتلك دليلاً قاطعاً على أن الرجل قد أعلن إسلامه، وبنفس الوقت نمتلك أدلة كثيرة على أنه اعتنق أفكاراً ومباديء وعقائد إسلامية كثيرة، بل وقد سعى لترويجها وإصلاح المجتمع من خلالها. لكن المعارضة الكنسية ومعارضة السلطة لأولئك المفكرين لم تحل دون وصول نتاجاتهم إلى أذهان المجتمعات الغربية. بل إن الكنيسة نفسها تأثرت فيما بعد بذلك النتاج الفكري المتأثر بالإسلام. وهذا يعني أن الكنيسة قد اعتنقت عقائد إسلامية تمت اضافتها إلى العقائد المسيحية على أنها شروح وإيضاحات للعقيدة المسيحية.وفي القرن الخامس عشر والسادس عشر بعد سقوط الأندلس ذبحوا وأحرقوا ما يزيد على ٣١ ألفاً من المسلمين (حسب بعض التقديرات) ولم يتركوا مسلماً على قيد الحياة. وبعد استقلال اليونان عن الدولة العثمانية أباد النصارى شعب موريا المسلم عن آخره، بل ودمروا المساجد، ويذكر التاريخ ما فعله الأسقف مكاريوس بمسلمي قبرص، والمتعصب جوليوس نيريري بمسلمي زنجبار .
إن النصرانية التي يتبناها الفاتيكان اليوم هي النصرانية السياسية التي يتحكم بها حكام الغرب وسياسيوه. وهنا تظهر لنا أهمية المسيحية العربية بالنسبة لنا وضرورة الحفاظ على هويتها وكيانها، وأهمية الحفاظ عليها داخل المجتمع الإسلامي العام. لتكون داعماً لنا في مواجهة الاعتداءات السياسية الغربية.

رئيس الكنيسة الأنجليكانية يناصر الإسلام

يعتبر الدكتور روان ويليامز رئيس أساقفة كانتربيري، أرفع منصب في الكنيسة الأنجليكانية في العالم. والتي ينتمي اليها سبعون مليوناً منتشرين في أنحاء العالم. ويعرف عنه أنه يناصر المسلمين في حالات كثيرة، ويهتم بالحوار معهم. فقد انتقد الغزو الأمريكي للعراق، وانتقد مراراً عديدة إقامة معتقل غوانتانامو، وانتقد حظر الحكومة الفرنسية للحجاب الإسلامي في المدارس العامة. وأسند ذلك إلى سياسة الخوف من تصاعد أعمال العنف المتطرفة الإسلامية. وقال: " إن مشروع القانون الفرنسي يوضح أن هناك حالة من العصبية تجاه من يحاولون إظهار التزامهم الديني علناً".

كما انتقد ويليامز في خطبته من يقومون بأعمال إرهابية باسم الدين، قائلاً "إن التهديد بالقيام باعمال إرهابية باسم الدين يزيد من عدم التسامح بين الأديان حتى لو انتقده القادة الدينيون على اختلاف مستوياتهم ".

الأشورية

تمتاز الطائفة الأشورية بعراقة التاريخ لتمسكها بالتعاليم المسيحية الأصلية. يتهمون بالنسطورية ودفعوا عن ذلك أثماناً كبيرة. وقعوا فريسة مشاريع دولية.

الفكر الآشوري

للتعرف على الفكر المسيحي الآشوري ننقل نصاً لقسيس آشوري تتضح فيه خصوصيتهم وخلافاتهم مع المسيحية الغربية، واعتزازهم بالتمسك بديانتهم المسيحية.

الصيانة اللازمة لكنيسة المشرق

من المؤثرات السياسية الخارجية نرى أن كنيسة المشرق الآشورية خضعت وتأثرت تأثراً كبيراً ومباشراً بسياسة الدول الأخرى وعجزت عن مقاومتها وبالتالي تعرضت لتأثير سياسيات الدول التي خضعت إليها، ابتداءً من الدول الفارسية ثم البيزنطية والإسلامية فالعثمانية والأوربية بما فيها بريطانيا وفرنسا. وطبقاً لهذه السياسات، التي فرضت بالحديد والنار على رؤساء الكنيسة ورعيتها أو استغلت ظروفهم المأساوية لفرضها عليهم، تحددت طبيعة علاقتها مع الكنائس الأخرى التي خضعت هي الأخرى إلى سياسات الدول، وخاصة الدول التي كانت في عداء وحروب مستمرين كالإمبراطوريتين الفارسية والرومانية ثم البيزنطية كما كان في السابق، والامبراطورية العثمانية والدول الغربية كما كان في القرون القليلة الماضية، فانعكست هذه الصراعات، بكل ما تحمله من طابع سياسي وفكري وحضاري، في طبيعة علاقات كنيسة المشرق الآشورية مع الكنائس الأخرى، فأصابها الكثير من الجفاء والقطيعة والعزلة، خاصة بعد منتصف القرن الميلادي الرابع فكانت تلك الفترة البداية الأولى في بناء السدود بين كنيستنا والكنائس الغربية الأخرى والتي استمرت قروناً طويلة وحتى إلى وقت قريب من عصرنا.

وبقدر تعلق الأمر بمبادئ الوفاق والوئام من الناحية الروحية في طبيعة علاقة كنيستنا مع الكنيسة الغربية الكاثوليكية ومدى تأثرها بالسياسات المكيافيلية منذ القرن السادس عشر الميلادي، وهو القرن الذي بدأت الدول الغربية وكنائسها الاهتمام بالعالم الشرق الأوسطي وبمسيحييه وكنائسه، ومدى قدرة هذه السياسات في تحويل هذه الطبيعة الروحية للعلاقة بينهما إلى نوع من الجفاء والخصام نلاحظ بأنه مرة أخرى انعكاس تأثيرات مملكة الأرض المتمثلة في الأطماع الاستعمارية للدولتين البريطانية والفرنسية وحتى الروسية وصراعهما على ممتلكات الرجل المريض، أي الدولة العثمانية، على طبيعة العلاقة بين كنيسة المشرق الآشورية والكنيسة الغربية الكاثوليكية، وبالأخص الكلدانية منها، وطغت على المبادئ

الروحية الصميمية في الوفاق والوئام التي تجمعهم ككنيسة واحدة ذات طقس ولغة وشعب واحد . وتجلت مكيافيلية هذه السياسات وبكل وضوح في ادعاء هذه الدول في حماية الأقليات المسيحية ومساعدتهم للتخلص والتحرر من ظلم واستبداد الأتراك في القرن الماضي كأسلوب لتنفيذ مآربهم السياسية عن طريق استغلال الدين. فهكذا استطاعت الدولة الفرنسية، سواء عن طريق مبشريها أو قناصلها أو مفكريها، أن تزرع في نفوس وعقول أبناء الطائفة الكلدانية الكاثوليكية مفاهيم تقوم على اعتبار أبناء كنيسة المشرق الآشورية مجرد نساطرة وكفرة وملحدين وغيرها من الشتائم التي زادت من الشقاق والخصام بين الكنيستين. وعلى الجانب الاخر، وأقصد كنيسة المشرق الآشورية، كان تأثير السياسة المكيافيلية الإنكليزية أكثر قوة وعمقاً وذلك لسببين : أولهما كون بريطانيا هي الدولة الأكثر نفوذاً ومصلحة في المنطقة وخاصة في العراق. وثانيهما عدم وجود لبريطانيا طائفة قوية في الدولة العثمانية ثم في العراق من اتباع الكنيسة الإنكليكانية للاعتماد عليها في تنفيذ سياستها فوجدت في استقلالية كنيسة المشرق الآشورية وفي عدم وجود من يستجيب لاستغاثتها وهي غارقة في المذابح والفواجع والتشرد، فرصة ذهبية لاستغلالها من دون أي وازع أخلاقي وديني وإنساني لتحقيق مآربها الاستعمارية. فنجحت فعلاً في تحقيق الكثير من أهدافها ومنها الهدف المتعلق بموضوعنا في زرعها لبعض المفاهيم السيئة في نفوس وعقول أبناء كنيستنا عن أخوتنا أبناء الطائفة الكلدانية وفي اعتبارهم مجرد (قليبايه) ، والذي يعني باللغة الاشورية السريانية بـ " المتحول من مذهب إلى مذهب أخر " أي الذين باعوا أنفسهم للغرب مقابل بعض الفرنكات... وهكذا غيرها من الشتائم التي تناقلها الطرفين وحتى أيامنا هذه ولا يزال يتناقلها البعض الغارقون في النزعات الطائفية والنائمون في ظلام الماضي الأليم. ألقي هذا الموضوع في المؤتمر الثاني للجبهة الثقافية السريانية المنعقدة في بيروت في ١٩٩٨/٥/١.

جهاد الحوار مع المسيحية

إن خير جهاد يقوم به الفرد المسلم في هذا العصر هو التحاور والتعايش والتحالف مع الآخر. المسلم الذي ينتمي لمذهب آخر والمسيحي العربي والغربي.ونقصد بالتحالف هنا إقامة علاقة صداقة متينة وتحاور وتفاهم ومن خلالها سيتعرف الآخر على الشخصية الإسلامية والأخلاق الإسلامية ويتعرف على مواقف المسلمين من الأحداث العامة.والمظالم التي يتعرضون لها. وعندئذ لن يكون كلّ منهما قاتلاً للصديق ولقومه في معارك طائفية أو حروب أخرى، بل سيصبح مدافعاً عن القضية الإسلامية العامة. وسوف يتظاهر الغربي في وطنه مطالباً بنصرتنا وبإخراج جنود بلاده من العراق وأفغانستان كما يحصل في لندن وواشنطن. وقد يصبح هذا المحاور المتفهم ذا نفوذ وسلطة في بلاده فيمنع الاعتداء على المسلمين.ويمكن للمتطرف نفسه أن يعمل في هذا الاتجاه الجهادي العظيم، والذي هو أكثر صعوبة من جهاد القتل والتدمير. ففي دول الغرب لاتستطيع الحكومات اليوم أن تطرد الإسلام والمسلمين من أراضيها، لأن الإسلام أصبح جزءاً منها، ولأن المسلمين أصبحوا مواطنيها الأصليين. وتلك الحالة لم تحدث عبثاً بل كانت نتيجة لجهاد سلمي إسلامي حقيقي قام به مسلمون جبّارون قبلنا. وبتعزيز هذا الجهاد المدني الفردي سيكون للمسلمين نفوذ كبير في بلدان الغرب. ولن يحصل المجاهد المسالم على نتائج فورية وسريعة وهذا مؤشر على صعوبة هذا النوع من الجهاد. وعلى تطلّبه للمقدرة العالية عند المجاهد نفسه ولن تتحقق تلك المقدرة إلا بقوة الإيمان بالإسلام، وهنا يكتشف صدق إيمان الفرد من زيفه وقوة إيمانه من ضعفها. فالقادر على الصبر والتحمل والعناد زمناً طويلاً في جهاده سيكون إيمانه أقوى من المسلم الذي يريد أن ينهي جهاده كله بعمل واحد يموت فيه ويقتل الآخر.

obeikandi.com

المساحة العقائدية المشتركة

تشكيك المسلمين بنوايا المسيحية وعدم قدرة المسيحيين على الاعتراف بنبوة محمد: هاتان المشكلتان وقفتا أمام تقدم الحوار على الدوام. في الحقيقة نحن ندعو إلى أن يسكت كل طرف أمام الخطوط الحمراء التي تفصله عن الطرف الآخر.

ولابد أن يتعرّف المسلم أولاً بصدق الإنسان المسيحي في الحوار، عندئذ يمكن أن يتعامل معه تعامل الند للند ولا ينبغي في هذه الحالة أن يطلب من المسيحي ابتداءً أن يعترف بقرآنه، وإنما يحاول أن يدخل معه لمعرفة المساحات العقائدية المشتركة.

ليس من الضروري للمسلم أن يتحاور مع المسيحي بهدف أسلمة المسيحي وتركه لديانته. بل الأهم من ذلك في هذه الفترة إنشاء قنوات تواصل وحوار وتفاهم مع المسيحية الغربية. وبالنسبة للمسيحيين العرب فلاضرورة لدعوتهم إلى الإسلام بسبب قلة عددهم، فبقاؤهم في الفضاء المسيحي ضرورة ملحّة للمسلمين وبرهان أكيد على التعددية والتنوع والتعايش المشترك.

يجب أن لا نبقي الحوار مع المسيحية في قمقم اللاهوت. النقص الذي كان من قبل هو حصر الحوار في إطار اللاهوت، في المجال العقائدي. وإن ثمة مجالاً آخر واسعاً، هو المجال العملي والمجال الحضاري.

ويمكن الخوض في مواضيع دينية عامة كأن يتحاور المسيحي والمسلم حول قضية العلاقة بين العدالة والإسلام، أيهما نقدم إذا جرى نزاع بين الأمرين، أو العلاقة بين العدالة الاجتماعية والإنتاج، أيهما نقدم إذا تعارض نموّ الإنتاج مع العدالة الاجتماعية؟ فهل ننمّي الإنتاج، أو نوقف نموّه لتحقق العدالة. هذه مسألة إنسانية. وفي مسألة حقوق الإنسان، ومسألة دور العائلة في البناء الاجتماعي، وفي بعض المسائل المهمة كالإجهاض.

فالمسيحية أشدّ تصلبا في منع الإجهاض حتى من فقهاء المسلمين. هم يرفضون أي تصور للإجهاض، بينما عندنا بعض الحالات الخاصة في الجواز قبل تعلق الروح في النطفة وحالات تضرر الأم تضرراً شديداً.

وهناك مجالات الدفاع عن القيم الإنسانية والأخلاق الإنسانية. هذه مجالات مشتركة . لماذا نترك المجالات التي يمكن أن نتفق فيها وندخل مجالات عقيمة.

لا يمكن أن نسدّ باب الحوار العقائدي، بل من الممكن أن نمشي مع الحوار العقائدي إلى حيث يمكن أن يصل.

وهناك باب آخر يمكن أن نتعاون فيه هو باب الحوار العملي والحوار الحضاري.

إذا أمكن أن نتحاور حضارياً فكيف لا يمكن أن نتحاور دينياً وأصولنا المشتركة الدينية أقرب من أصول الاشتراك الحضاري.

وإن تركيز المسلمين على هذه الأصول المشتركة التي تجمع بين الديانتين أمر يقوّي الحوار ويدفعه كثيراً نحو اكتساب النتائج المرضية للطرفين.

السينتولوجيا أخطر انحدار للكنيسة الغربية

العلمولوجيا أو السنتولوجيا كنيسة أوروبية جديدة نشأت في ألمانيا وامتدت إلى أوروبا وأمريكا.وأشعلت جدلاً واسعاً في العالم كله. وصفها الأطباء والعلماء بأنها عالم كاذب. ووصفها السياسيون ورجال الدين المسيحيون على أنها مؤسسة تجارية متهورة. كما تصنفها بعض الحكومات تحت المؤسسات أو التيارات المناهضة للدستور.نتعرف على كنيسة السينتولوجيا لنكتشف المفارقة الكبيرة والانحدار الديني والفكري الذي وصل إليه بعض مسيحيي الغرب: يقولون إن الجانب الديني في السينتولوجيا قد أقحم فيها لكي تلقى تجاوباً من ذوي العقول البسيطة ولكي تظهر في مظهر تيار حامل لقيم إنسانية. وأن الفكر السينتولوجي هو امتداد للتيار الذي يرى أن علم الاجتماع والنفس يخضع أو يجب أن يخضع لنفس مقاييس العلوم الهندسية. وهنا تنشأ تعارضات مع بعض تشريعات الدول الديمقراطية التي ترى أن هذا التيار والفكرة تسلب الفرد حريته وتجعل إمكانية قيام نظام دكتاتوري أكثر احتمالاً. ولتلك الأسباب تعتبر العلمولوجيا طائفة دينية سرية وغير قانونية. تتمثل هذه الفلسفة رسمياً عن طريق الكنيسة العلمولوجية Church of

Scientology ، التي تصف نفسها بأنها منظمة غير نفعية تسعى لإصلاح وإعادة تأهيل الروح الإنسانية ، و هي تطرح نفسها كبديل عن مدرسة التحليل النفسي.

مؤسس الديانة الكنسية الجديدة هو رون هوبارد ، قام بتأسيسها إثر نقاش مع صديق له على حافة حمام سباحة في الخمسينات حول أقصر الطرق للحصول على مليون دولار. هوبارد قال إنه يمكنه بناء ثروة شخصية قدرها مليون دولار عن طريق إنشاء دين جديد خاص به. النقاش تطور إلى رهان. ثم ما لبث هوبارد أن أنشأ الدين الجديد. وهذه الكنيسة تشجع أتباعها على قطع كل صلاتهم بأهلهم غير المعتنقين للديانة الجديدة. وتورطت في عدة قضايا في الولايات المتحدة وأوربا لابتزاز أعضائها للحصول على أموالهم. تتلخص فكرتهم أو هدفهم في مكننة الإنسان و العلاقات الإنسانية على جميع المستويات بدءاً بالفرد و نهاية عند الدول ذلك لأن الخاصيات الإنسانية متغير غير قابل للحساب أو التنبؤ به في المعاملات يؤدي إلى أخطاء فادحة عند اتخاذ القرارات إلى حد اتخاذ قرارت غير منطقية (لكن أخلاقية في بعض الأحيان) فوجب إذن تخليص الإنسان من هذه الخصائص الإنسانية التي يرون أنها موطن ضعفه و الرقي به (حسب الساينتولوجي) إلى درجة إتقان عمل الماكنات. وتوجد العديد من القواعد و التمارين ضمن الحركة هدفها محو الإرادة الشخصية و تطويع الفرد في خدمة المؤسسة (الساينتولوجية) أو النظام عامة كضرب من ضروب الهندسة الاجتماعية كواجب الطاعة العمياء لمن فوقك في هرم المؤسسة و عدم حق النقد و عدة تمارين تتعلق بمكننة الحياة اليومية كتمارين على المشي والضحك والصراخ إلخ. وهدفها التخلص من التلقائية والمشاعر. وإنّ تحريف الكنيسة في كلّ مرة إلى اتجاه يروق لأمزجة هؤلاء الدجالين يدلّ على أنّ الغرب شديد البعد عن استيعاب سماوية الديانة المسيحية ، وهذا مايزيد من اتسّاع الهوّة بين المسيحية العربية والمسيحية الغربية ، ويمنح دوراً عالمياً مهماً للمسيحيين العرب في إعادة نشر المسيحية الصحيحة. أثناء زيارته لألمانيا قام رئيس وزراء الصهاينة (إيهود أولمرت) بزيارة لمركز السينتولوجيا الرئيسي في برلين برفقة رئيسة وزراء ألمانيا ، مما يدلّ على الدعم الصهيوني الكبير لكنيسة السينتولوجيا.

مارتن لوثر

ولد مارتن لوثر في مقاطعة ساكس الألمانية سنة ١٤٨٣ وحصل على الدكتوراه في اللاهوت. وزار في العام ١٥١٠ روما ، وكانت الكنيسة آنذاك تبيع صكوك غفران الذنوب وصكوك التوبة، ويمنحون صكوك الغفران التي تعتق وتسمح بالمرور إلى الجنة! فتأثر بتخلف الكنيسة وقرر إصلاحها وتقويض سلطة البابا.

فقام بتعليق احتجاج صارخ على باب كنيسة مدينة فيتنبرج في ٣١ تشرين الأول ١٥١٧ تضمن ٩٥ نقطة طالب فيه بإلغاء النظام البابوي لأنه يمنح قدسية كبيرة للبشر قد يسيؤون استعمالها تماماً كما كان شائعاً في الكنيسة الكاثوليكية آنذاك. كما رفض لوثر أن يبقى القسيس بلا زواج مدى الحياة، فأقدم هو على الزواج من الراهبة كاترينا فون بورا.

وكانت من بين مطالب لوثر أيضاً المساواة بين الإكليروس "رجال اللاهوت المسيحي" والمسيحيين العاديين. غير أن ما سيؤثر على مستقبل الكنيسة الكاثوليكية بشكل عام كان دعوة مارتن لوثر إلى جعل الكتاب المقدس اليهودي المصدر الوحيد للإيمان، ودعا إلى إلغاء الوساطة بين المؤمنين والرب بمعنى إقامة علاقة مباشرة بين العبد والمعبود دون المرور عبر البابا أو أي شخص آخر.ويذكر أن بعض دعواته تتفق مع العقيدة الإسلامية.

ضمّ اليهود إلى المجتمع المسيحي

وكان أخطر ما حملته مطالب لوثر دعوته للعودة إلى كتاب التوراة العبرانية القديمة وإعادة قراءته بطريقة جديدة بالإضافة إلى اعتماد الطقوس العبرية في الصلاة عوضاً عن الطقوس الكاثوليكية. وأرسل رسالة إلى البابا ليو العاشر في روما سنة ١٥٢٠ اتهمه فيها باستعمال الكنيسة الكاثوليكية لتحقيق مصالح

شخصية له وللحاشية التي تحيط به، مؤكداً أنه لن يتخلى عن نضاله لتقويض تلك الكنيسة مادام حياً.

فجاء رد فعل الكنيسة الكاثوليكية قاسياً حيث اعتبرت لوثر من الخارجين عن الكنيسة وطردته من الديانة المسيحية واتهمته بالهرطقة، وهي تهمة كانت عقوبتها آنذاك الحرق على الملأ. فلجأ لوثر بعد ذلك إلى العمل السري وعمل على استمالة بعض اليهود الذين كان لهم نفوذ كبير في المجتمع عن طريق التأكيد على أن مذهبه الجديد يعيد الاعتبار لليهود الذين كانوا يعانون من ازدراء الكنيسة الكاثوليكية. وأصدر كتابه "عيسى ولد يهودياً" سنة ١٥٢٣ وقال فيه إن اليهود هم أبناء اللّه وإن المسيحيين هم الغرباء الذين عليهم أن يرضوا بأن يكونوا كالكلاب التي تأكل ما يسقط من فتات من مائدة الأسياد. وكانت هذه الفترة تعد الولادة الحقيقية والفعلية للمسيحية اليهودية.

نشأة المسيحية اليهودية

وتقوم المسيحية اليهودية على تفضيل الطقوس العبرية في العبادة على الطقوس الكاثوليكية بالإضافة إلى دراسة اللغة العبرية على أساس أنها كلام اللّه. ووصلت محاولة استمالة لوثر لليهود من أجل الدخول في مذهبه حداً قال فيه يوماً أمام عدد من اليهود الذين كانوا يناقشونه:

"إن البابوات والقسيسين وعلماء الدين ذوي القلوب الفظة، تعاملوا مع اليهود بطريقة جعلت كل من يأمل أن يكون مسيحياً مخلصاً يتحول إلى يهودي متطرف وأنا لو كنت يهوديا ورأيت كل هؤلاء الحمقى يقودون ويعلمون المسيحية فسأختار على البديهة أن أكون خنزيراً بدلاً من أن أكون مسيحياً".

وإن رغبة مارتن لوثر الجامحة في إعادة الاعتبار لليهود و"تمسيحهم" كانت تعود لإيمانه العميق بضرورة وجودهم في هذا العالم تمهيداً لعودة المسيح.

obeikandi.com

واعتبرت دعواته تلك انقلاباً على موقف الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تنظر لليهود على أنهم حملة لدم المسيح عيسى بعدما صلبوه. حيث دأبت الكنيسة الكاثوليكية على تحميل اليهود المسؤولية الكاملة عن مقتل المسيح. وكان بعض المسيحيين في أوروبا يحتفلون بمقتل المسيح عن طريق إحياء طقوس عملية الصلب، بل وكان سكان مدينة تولوز الفرنسية يحرصون على إحضار يهودي إلى الكنيسة أثناء الاحتفال ليتم صفعه من قبل أحد النبلاء بشكل علني إحياء لطقس الضرب الذي تعرض له المسيح من قبل اليهود.

كما أن هناك نصاً في إنجيل متى يحمل اليهود مسؤولية مباشرة عن مقتل المسيح ويذكر بالتفصيل كيف غسل بيلاطس الحاكم الروماني للقدس آنذاك يديه بالماء معلناً براءته من دم المسيح الذي كان اليهود على وشك صلبه قبل أن يصيح فيه اليهود قائلين "ليكن دمه علينا وعلى أولادنا". وهذه العبارة الأخيرة تطبع الاعتقاد المسيحي الكاثوليكي بشكل مرير ظهر جلياً في الشعبية الكبيرة التي نالها فيلم "آلام المسيح" للمخرج المسيحي ميل غبسون الذي حصد مئات الملايين من الدولارات عدا حالات الإغماء الكثيرة التي شهدتها قاعات السينما التي عرضت الفيلم في الولايات المتحدة لرجال ونساء مسيحيين لم يستطيعوا تحمل التفاصيل المليئة بالألم التي حفل بها الفيلم.

وفي أواخر حياته عدّل لوثر رأيه عن استمالة اليهود وكتب كتاب "اليهود وأكاذيبهم" أعرب فيه عن خيبة أمله من اليهود وأقر بالفشل في استقطابهم لعقيدته الجديدة. كما أقر في شبه استسلام تلقفه اليهود قبل غيرهم بأن دخول اليهود في الدين المسيحي لن يتم إلا عبر عودتهم لأرض فلسطين وعودة المسيح الذي سيسجدون له ويعلنون دخولهم في الدين المسيحي حتى يعم السلام العالم. وكانت دعوة لوثر تلك أول اشارة إلى عقيدة عودة اليهود إلى أرض فلسطين. وتلك الإشارة التي وظّفتها الصهيونية سياسياً وجعلتها مشروعاً حقيقياً تمثل في تهجير اليهود من أوروبا إلى فلسطين ثم إقامة دولة اسرائيل على حساب أصحاب الأرض الفعليين وهم العرب الفلسطينيون.

البروتستانتية والصهيونية المسيحية

الصهيونية المسيحية هي الدعم المسيحي للفكرة الصهيونية، وهي حركة مسيحية قومية تقول عن نفسها إنها تعمل من أجل عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين وسيادة اليهود على الأرض المقدسة. ويعتبر الصهيونيون المسيحيون أنفسهم مدافعين عن الشعب اليهودي خاصة دولة إسرائيل، ويتضمن هذا الدعم معارضة وفضح كل من ينتقد أو يعادي الدولة العبرية.

تقوم فلسفة الصهيونية المسيحية على نظرية الهلاك الحتمي لليهود. وهناك الكثير من الدراسات اللاهوتية في هذا المجال خلاصتها أن هلاك يهود الأرض قدر محتوم وضرورة للخلاص من "إرث الدم" الذي حمله اليهود على أكتافهم بعدما صلبوا المسيح وهم سيتحولون إلى المسيحية بعد عودته ولن يبقى شيء اسمه اليهودية.

ومارتن لوثر عمل على تهويد المسيحية عندما أصر على اعتماد التوراة العبرانية بدلاً من كتاب "العهد الجديد". وقد قام عدد من رجال الدين البروتستانت مثل القس الإنكليزي جون نلسون داربي بإعادة قراءة العقائد المسيحية المتعلقة باليهود، ومنحهم مكانة متميزة حتى أصبحت الكنيسة البروتستانتية هي حاملة لواء الصهيونية المسيحية أينما حلت.

وقد حصل انشقاق داخل الكنيسة البروتستانتية نفسها بسبب اليهود. فبينما أعرب بعض البروتستانت الإنجليز عن اعتقادهم بأن اليهود سيعتنقون المسيحية قبل أن تقوم دولتهم في فلسطين، ذهب بعض البروتستانت الأميركيين إلى أن اليهود لن يدخلوا في المسيحية حتى لو قامت إسرائيل وأن عودة المسيح هي الشرط النهائي لخلاصهم وتوبتهم ودخولهم في الدين الذي جاء فيهم أصلاً. وقد تزعم القس نلسون داربي هذا الفريق وينظر إليه على أنه الأب الروحي للمسيحية الصهيونية قبل أن يعمل العشرات من القساوسة على نشر نظريته تلك. ونشر وليم باكستون الذي كان من أشد المتحمسين الأميركيين لأطروحة داربي كتاب "المسيح آت" سنة ١٨٨٧ وترجم الكتاب إلى عشرات اللغات وركز فيه على حق اليهود التوراتي في فلسطين. وبلاكستون كان وراء جمع ٤١٣ توقيعاً من شخصيات مرموقة مسيحية ويهودية

طالبت بمنح فلسطين لليهود وتم تسليم عريضة التوقيعات للرئيس الأميركي آنذاك بنيامين هاريسون. أما القس سايروس سكوفيلد فيعتبر من أكثر المسيحيين الصهيونيين تشدداً وقام بوضع إنجيل سماه "إنجيل سكوفيلد المرجعي" نشره سنة ١٩١٧ وينظر إليه اليوم على أنه الحجر الأساس في فكر المسيحية الأصولية المعاصرة.

صهينة المسيحية الغربية

كان لليهود المهاجرين من أسبانيا إلى أوربا وبخاصة فرنسا وهولندا أثرهم البالغ في تسرب الأفكار اليهودية إلى النصرانية من خلال حركة الإصلاح، وبخاصة الاعتقاد بأن اليهود شعب الله المختار، وأنهم الأمة المفضلة، وكذلك أحقيتهم في ميراث الأرض المباركة. وفي عام ١٥٢٣م أصدر مارتن لوثر كتاب عيسى وُلِد يهوديًّا متأثراً فيه بالأفكار الصهيونية.وفي عام ١٥٤٤م انتبه مارتن لوثر إلى الخطر اليهودي وأصدر كتاباً ينتقد فيه التدخل اليهودي في الكنيسة والمسيحية ويحذر من أكاذيبهم. وكانت هزيمة القوات الكاثوليكية وقيام جمهورية هولندا على أساس المبادئ البروتستانتية الكالفينية عام ١٦٠٩م بمثابة انطلاقة للحركة الصهيونية المسيحية في أوربا، مما ساعد على ظهور جمعيات وكنائس وأحزاب سياسية عملت جميعاً على مساعدة اليهود في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين. ومن أبرز هذه الحركات: الحركة البيوريتانية التطهيرية التي تأسست على المبادئ الكالفينية بزعامة السياسي البريطاني أوليفر كرومويل ١٦٤٩-١٦٥٩م وفي عام ١٨٠٧م أُنشئت في إنجلترا جمعية لندن لتعزيز اليهودية بين النصارى.

وقد أطلق أنطوني إشلي أحد كبار زعمائها شعار: "وطن بلا شعب لشعب بلا وطن" وانتقلت الصهيونية المسيحية إلى أمريكا من خلال الهجرات المبكرة لأنصارها نتيجة للاضطهاد الكاثوليكي، وقد استطاعت تأسيس عدة كنائس هناك من أشهرها الكنيسة المورمونية.ويعتبر سايسروس سكلوفليد ١٨٤٣م الأب اللاهوتي للصهيونية المسيحية في أمريكا.وفي العصر الحديث تعتبر الطائفة التدبيرية التي يبلغ عدد أتباعها ٤٠ مليون نسمة تقريباً والمعروفة باسم الأنجلو ساكسون،

البروتستانت البيض من أكثر الطوائف مغالاة في تأييد الصهيونية، وفي التأثير على السياسة الأمريكية في العصر الحاضر. ومن أشهر رجالها اللاهوتيين: بيل جراهام، وجيري فولويل، جيمي سويجارت. ومن أبرز رجالها السياسيين الرئيس الأمريكي رونالد ريجان.والرئيس جورج بوش.

ومن داخل الكنيسة الإنجيلية في أمريكا وقف لهم بالمرصاد المجلس الوطني للكنائس المسيحية،

ومن داخل المسيحية الصهيونية اشتهر أخيراً القس جون هاجي وصعد نجمه بسرعة كبيرة، بفضل أفكاره التدميرية الهستيرية التي أعلنها، فقد أصدر في كانون الثاني ٢٠٠٦ كتاباً خطيراً جديداً بعنوان: العد التنازلي لأورشليم: تحذير للعالم.. الفرصة الأخيرة للسلام"، وبسرعة مذهلة أصبح في ثلاثة أشهر فقط، أكثر الكتب تداولاً وبيعاً في الأسواق الكبرى بالولايات المتحدة الأميركية. ويرى الكتاب أن حكام إيران متزمتون يسعون إلى محو إسرائيل من الخريطة بإلقاء قنبلة نووية على القدس. وبعد اجتياح إسرائيل على يد المسلمين والروس، ستقوم حرب ثانية للسيطرة على إسرائيل، وستشتعل بين الولايات المتحدة من جهة، والصين والاتحاد الأوروبي من جهة ثانية.

وفي هذه اللحظة سيظهر المسيح الدجال في شخص رئيس الاتحاد الأوروبي. وفي النهاية ستضع الحرب النووية الرهيبة حداً للنزال، وستدور المعركة الحاسمة في ميجيدو (هارمجدون). وسيصبح بإمكان المسيح المبجل أن ينزل إلى الأرض ليجزي الذين آمنوا به وانتظروا رجوعه. ومن حسن حظه أن الجيش الإسرائيلي والبنتاغون يمكنهما ترجيح الكفة لصالحه بتدخل وقائي، بما فيه استعمال قنابل نووية جديدة وتكتيكية. ولهذا يجب خوض الحرب من الآن دون انتظار.

المسيحيون المتحدون من أجل إسرائيل

منذ العام ٢٠٠٥ عقدت الصهيونية العالمية مع البنتاغون اتفاقاً على تأسيس حركة "المسيحيون المتحدون من أجل إسرائيل". وتهدف هذه الحركة إلى تعبئة الرأي العام الأميركي لمساندة إسرائيل والأمريكيين في حربهما ضد العرب والمسلمين. بل وجعل تلك الحرب مقدسة وواجباً دينياً مسيحياً.

وهذا يزيد في تأجيج النار في اليمين الديني الأميركي، الذي كان من ضمن مشروعه محاولته مسابقة الإسلام واحتكار المسيحية والدفاع عن "الحرية الدينية"، وتنصيب رؤساء موالين له في كل قارات الكرة الأرضية. وكسب السند الشعبي العام للولايات المتحدة الأميركية في الحرب ضد لبنان، ثم سوريا وإيران، فقد أسس البنتاغون الأميركي والجيش الإسرائيلي بنية للتأطير والتكوين، منذ نهاية سنة ٢٠٠٥، لتعبئة خمسين مليوناً من الإنجيليين الأميركيين. وتركز المحور العام لهذه العملية على إدماج زعماء الإنجيليين في مؤسسة إيديولوجية وحيدة: "المسيحيون المتحدون من أجل إسرائيل". ولا ترمي هذه المنظمة الجديدة إلى أن تكون بديلاً للمنظمة الشهيرة "إيباك" العاملة كجماعة ضغط سياسية (لوبي) في الأوساط الحاكمة، لكن مهمتها هي ترويج العقيدة الصهيونية في الكنائس الإنجيلية وخارجها حتى يصير دعم العمليات العسكرية العدوانية الإسرائيلية في نظر أغلبية الأميركيين بمثابة الواجب الديني المسيحي.وبهذه الطرق القذرة تقوم الصهيونية بتحويل الإنجيلية المسيحية إلى حركة صهيونية تحمل عقائد يهودية وتدافع عن اليهودية الصهيونية. وإن هذا الاّ استخفاف بالديانة المسيحية نفسها وتسخيرها في خدمة اليهودية.ومن هنا تبرز أهمية المسيحية العربية وصمودها في وجه تلك الأخطار وبقائها شاهداً عالمياً على أفك الصهيونية.

obeikandl.com

الإبادة عقيدة دينية عند اليهود

الابادة عقيدة يهودية توراتية تتمثل بإبادة القربان وحرقه حرقاً تاماً لتقديمه للرب كأضحية يهودية. وقد قام اليهود بتعميم هذه العقيدة والاستفادة منها كمبدأ ومنهج صهيوني لإبادة الشعوب الأخرى. لقد انطلقت فكرة الإبادة كشعار تهديد وفعل من قبل اليهود أنفسهم مع بداية الحرب العالمية الثانية. وظلّت تلك الفكرة تتفاعل وتنمو في الذهن اليهودي حتى أصبحت نتاجاً فكرياً وفلسفياً تم نشره في الأوساط الغربية.

ولم تكن الإبادة بدعة نازية كما يعتقد البعض. بل كانت أداء غربياً عاماً تورط فيه اليهود أنفسهم ونظّروا له من قبل أن تقع الحرب العالمية.وهو مارأيناه في فكر الحلفاء ومن خلفهم المنظمات الصهيونية الضاغطة. ولم تحدث أية أعمال إبادة لليهود في ألمانيا ، بل أبيد حوالي خمسين مليون من الأوروبيين في تلك الحرب. وقد ابتدع اليهود تلك الأكذوبة لأنها تتفق مع عقيدتهم، ولأنهم يعتقدون بأن يوم الميعاد اليهودي الذي يأذن به الرب لشعبه اليهودي بالعودة إلى أرض الميعاد ، ذلك اليوم يتطلب تقديم أضاحٍ يهودية. فكذب اليهود على الرب وزعموا بأنهم قدّموا أضاحي من شعبه المختار وأحرقت الأضاحي في الأفران طبقاً لرغبة رب اليهود.(راجع كتاب الهولوكوست المحرّم)

تصدير الأساطير الصهيونية

منذ نشوء الحركة الصهيونية وهي تعتمد على الفكر الأسطوري وتحاول بثّه في المجتمعات العالمية. فالزعم بضرورة عودة اليهود إلى أرض فلسطين كان يقوم على مبدأ أسطوري يقول بأن عودة اليهود ومن ثم إبادتهم بالكامل سيمهد الطريق لعودة ظهور المسيح. ورغم زعم الغرب بإيمانه بالعلمانية المطلقة فقد تجاوب مع الأساطير الصهيونية آنذاك. ومنذ قيام دولة إسرائيل وهي تقوم بنشر الفكر الأسطوري في المجتمع الغربي. ونلاحظ ذلك على كافة المستويات.

obeikandl.com

تسميم العقل الغربي بعقيدة الإبادة

إن الابادة كعقيدة ومفهوم وواقع ديني وعقيدي كانت ماثلة في الذهن اليهودي منذ بداية القرن التاسع عشر على الأقل.

وإن نشر عقيدة الإبادة كمبدأ كان همّ الصهيونية. الأمر الذي اعتقدوا بأنه القادر على انتشالهم من حوثلتهم. ومن المقام الركامي الذي ظلّوا فيه طوال أربعة آلاف سنة.

وعندما ظهر هتلر ساهم اليهود في توليد النزعة العرقية الألمانية، وتلك النزعة جعلته يخطط لتطهير العالم من الفساد، فكانت الحرب الجحيم.

فقد ظهرت في أوروبا نزعة إبادية عامة على أيدي مفكرين وفلاسفة يهود. وكانت تلك النزعة تحمل عقائد تدميرية إبادية تتفق مع تصور اليهود للكون والمجتمعات وتختلف مع التصور المسيحي المتسامح. وقد ساهمت الظروف العامة في نشر تلك الأفكار والتصورات وشيوعها في الغرب كله.

فلسفة الإبادة خدعة صفعت المجتمع الغربي

الإبادة كمبدأ وفكر فلسفي وممارسة واقعية ليست جديدة على الغرب. بل إنها قديمة فيه. فقد مارس الغرب الإبادة في زمن الرومان واليونان، وفي العصور الوسطى، وفي الحربين العالميتين، واليوم هو يمارسها في العراق وأفغانستان وفلسطين.

ومما لاشك فيه هو أنّ أول فكر إبادي عرفه التاريخ المنقول هو فكر العقائد اليهودية الذي يتمثل بإبادة الأضحية، وإبادة الآخر. ففي التوراة المتوفرة اليوم نصوص كثيرة تأمر بالإبادة وتروي قصص إبادة عنصرية بشعة.

تدلّ الأحداث الكثيرة والخطوات التي ينتهجها الغرب اليوم على وجود رغبة كبيرة وسعي للإبادة الفعلية. فالتسلح الكبير في المنطقة والذي يغذيه الغرب والولايات المتحدة بالدرجة الأولى ينمّ عن وجود مخطط إبادي شامل عند هؤلاء

المعتدين. كما نسمع كثيراً عن أعمال جنود أمريكيين يمارسون الإبادة في العراق، فمن أين تولّدت هذه الأعمال القذرة؟ انتهج الغرب فلسفة وفكراً عاماً أبعد المواطن عن مسيحيته الديانة السمحاء، وجعله يبرر القتل والتدمير والإبادة. واستخدم الغرب تلك النزعة في حروبه العدوانية وفي احتلاله لأراضي الشعوب الأخرى بدءاً من غزوه للعالم الجديد وإبادته للهنود الحمر مواطنيه الأصليين،

لقد بدأت هذه الرؤية بمرحلة إنسانية وضعت الإنسان في مركز الكون وتبنت منظومات أخلاقية مطلقة، تنبع من الإيمان بالإنسان باعتباره كائناً مختلفاً عن الطبيعة/المادة، وأنه سابق عليها، وله معياريته ومرجعيته وغائيته الإنسانية المستقلة عنها. وإن هذه الفلسفة المرحلية تتفق مع المفاهيم اليهودية لعقيدتهم. ولذلك فقد تبنتها الصهيونية ظاهرياً.

ثم تطورت هذه الرؤية الإنسانية المادية من خلال منطق النسق المادي الذي يساوي بين الإنسان والطبيعة ومن خلال تَصاعُد معدلات الحلولية والعلمنة وانفصال كثير من مجالات النشاط الإنساني (الاقتصاد - السياسة - الفلسفة - العلم) عن المعيارية والمرجعية والغائية الإنسانية إلى أن فقد الإنسان مركزيته ومطلقيته وأسبقيته على الطبيعة/المادة وتحوَّل إلى جزء لا يتجزأ منها وأصبح هو الآخر مادة، منفصلة عن المرجعية والغائية والمعيارية الإنسانية وأصبحت هذه علمانية شاملة.

وفي هذا الإطار ظهرت الأخلاق النفعية المادية التي تُعفي الإنسان من المسئولية الأخلاقية.

ومن ثم تَحرَّر الإنسان الغربي من أية مفاهيم متجاوزة مثل مفهوم الإنسانية جمعاء أو صالح الإنسانية، كما تحرر من القيم المطلقة مثل المساواة والعدل، وجعل من نفسه المركز والمطلق المنفصل تماماً عن كل القيم والغائيات الإنسانية العامة، وأصبح هو نفسه تجسيداً لقانون الطبيعة ولحركة المادة وتحول إلى مرجعية ذاته، وقانون ذاته، ومعيارية ذاته، وغائية ذاته، ومن ثم أصبح من حقه أن يحوّل العالم كله وجميع شعوب الأرض لخدمة صالحه كما عرَّفه هو. وبذا تحوَّلت الإنسانية الغربية إلى إمبريالية وأداتية ثم إلى عنصرية، وثم جاء تقسيم البشر إلى نوعين وهما

obeikandi.com

الإنسان المسيطر والمهيمن والآخر المسيطر عليه. ويطلق الدكتور عبد الوهاب المسيري عليهما اسمي السوبرمان والسبرمان.

- الإنسان المسيطر والمستبد والإمبريالي الذي يحق له أن يتحكم في كل البشر والطبيعة، وهو ماأطلق عليه المفكر المصري عبد الوهاب المسيري تسمية السوبرمان.

- الإنسان الذي فرض عليه أن يبقى دون البشر وهو أداتي ومن المفروض أن يذعن لإرادة السوبرمان ولقوانين الطبيعة والمادة.وهو ماأطلق عليه المسيري تسمية السبرمان.

وهذا مايلخص نظرية النفعية الداروينية وهي المنظومة التي تذهب إلى أنه من يمتلك القوة له الحق في أن يوظّف الآخرين لخدمة مصالحه، فكان يُشار إلى البشر باعتبارهم مادة بشرية يمكن توظيفها، أما من لا يمكن توظيفه فكان يُشار إليه باعتباره «مادة بشرية فائضة غير نافعة» وترد هذه المصطلحات (وغيرها) في كتابات مفكري العنصرية الغربية مثل الصهيوني ماكس نوردو وفي الأدبيات الصهيونية (كتاب هيرتزل دولة اليهود).

وقد استمد كل من ماكس نوردو وهيرتزيل فلسفة الانتقائية والإبادة من العقيدة اليهودية نفسها بل إنهما لم ينتجا إلاّ شروحاً حديثة للنصوص التوراتية وفلسفة حديثة مبنية على الأسس العقيدية اليهودية. فكان نتاجهما في الحقيقة نوعاً من الرؤية اليهودية الحديثة للمجتمع والكون.

وكان يتوجب على الغرب المسيحي ألاّ ينجرّ وراء تلك الفلسفة الإبادية لأنها لم تكن تتماشى مع عقيدته المسيحية الإنسانية. وبالمقارنة مع ماأنتجه ابن رشد من فلسفة شارحة للإسلام ومتوافقة مع الإسلام والمسيحية مستفيداً من نتاج الفكر اليوناني الغزير، ونكتشف البون الواسع بين هذين النتاجين. فقد ساهم ابن رشد في تطوير الفلسفة والمجتمع المسيحي وساهم في تعظيم الإنسان ونشر قيم الإنسانية جمعاء. ثم وجاء اليهود ليهدموا بعض مابناه فيلسوف الإسلام تحت شعارات فلسفية حديثة..

obeikandl.com

ونلاحظ أن كل المصطلحات الفلسفية اليهودية كانت تُضمِر البُعدين الإمبريالي والأداتي، الدارويني والبراجماتي، وجعلت الإنسان مادة تُوظَّف.

وإن كلاً من الذات الإمبريالية والموضوع الأداتي يدوران في إطار الرؤية المادية الواحدية. فالسوبرمان والسبرمان ينتميان إلى عالم وثني حلولي كموني وما هذا العالم الا يهودي توراتي. إذ لم يكن على الإطلاق من نتاج المسيحية المفعمة بالإنسانية ولا من نتاج الإسلام الذي هو موضوعه الإنسان.

إن الفكر الإبادي اليهودي والعنصرية تجاه الأغيار وعقيدة وجوب إبادة الأغيار كلها مصطلحات دينية يهودية تم تطويرها بعد عصر النهضة الأوروبي وجعلها مدارس فكرية وفلسفية ومذاهب وحقائق اجتماعية.وبالحقيقة وللتاريخ نقول قام اليهود بتسميم العقل الأوروبي وتحميله مباديء الإبادة وتقسيم البشر إلى السوبرمان والسبرمان.

وبمقارنة بسيطة بين المصطلحات الغربية الطارئة على الإنسانية وبين مايعادلها في نصوص العهد القديم نكتشف خلفية وعمق اللعبة الصهيونية:

سوبرمان: يعني في المفهوم الغربي الحديث الإنسان الذي يستحق العيش والذي يحق له تدمير ممتلكات الغير وإبادة الغير واكتساب عمل وممتلكات وحقوق الغير لنفسه. وحسب العقيدة اليهودية فإن اليهودي وحده يستحق أن يعيش وتبيح له نصوص العهد القديم والشريعة التي يؤمن بها أن يقوم بإبادة الغير وبتدمير أملاكه ومحاصيله واغتنام أرضه وممتلكاته بل وإبادته وحرقه. ويعتبر الغير عند اليهود مادة غير بشرية ويجب التخلص منها وإبادتها. وإن كل العقيدة اليهودية تقوم على أساس أن اليهودي هو الذي اختاره الرب من بين البشر، أي أنه السوبرمان.

سبرمان: وأصبح معناها في المصطلح الغربي الإنسان الوضيع الذي لانفع منه ويجب إبادته أو اكتساب جهده. وإن صورة هذا التعريف نفسه نجدها في العقيدة والنصوص اليهودية، فكثير من تلك النصوص تعتبر غير اليهودي غير إنسان وتجمله مع البهائم وتحرّض اليهود على إبادته وتنظيف الأرض منه. وإن اليهود قد صدّروا هذا المعنى منذ عصر النهضة واستطاعوا تسميم العقل الغربي به، وتضليله بشعارات

فلسفية وبمدارس فكرية. حتى أصبح حقيقة إبادية في الحربين العالميتين وفي أفريقيا وفي القارة الجديدة. إذ اعتمد العقل الغربي على هذه المباديء أثناء قيامه بأعمال الإبادة. بل وكانت خاتمة كل تلك الأحداث ادّعاء اليهود أنفسهم بأنهم تعرضوا للإبادة وبنفس الوقت قيامهم هم حين أصبح لهم كيان بأعمال إبادة مهوّلة ضد الشعب الفلسطيني وغيره من العرب والمسلمين.وقد ظل هذا المفهوم للنفس البشرية وهو السائد عند الغرب حتى يومنا هذا ، ونلاحظ ذلك في أعمال القتل العشوائي الذي يمارسه جنود الغرب في أفغانستان والعراق وفلسطين.

ورغم تواري المصطلحات التي تُعبِّر عن المفهوم بشكل متبلور فمازال العمل بهذا المبدأ قائماَ حتى يومنا هذا . ففي العراق قذف المدنيون بقنابل تحوي يورانيوماً مخصباً وفي لبنان أعلن خبراء بريطانيون أنهم اكتشفوا اليورانيوم المخصب في مخلفات القنابل التي رمتها إسرائيل على المدنيين اللبنانيين. كما أن الصهاينة مارسوا فيه أعمال إبادة واضحة لاخلاف على وصفها بالإبادية ، ومن ذلك مذبحة صبرا وشاتيلا ، وإبادة المئات المتحصنين داخل مركز الأمم المتحدة. وماهذه إلا أعمال إبادة حقيقية. وفي الحرب اللبنانية الأخيرة رمت اسرائيل ملايين الألغام الصغيرة في جنوب لبنان. ثم استمرت في رمي بالونات غازية خانقة قتلت عدة أشخاص. وداخل فلسطين المحتلة احتج السجناء الفلسطينيون على جعلهم حقل تجارب مخبرية. حيث أجبروا على تناول أدوية مجهولة بغية معرفة نتائج تأثيرها على البشر. وأعلن عن ذلك في أواخر العام ٢٠٠٦.

ولكن حينما يُهيمن هذا المعيار يتم تأسيس الفردوس الأرضي، ولن ينتظر الفرد الغربي فردوس الله. وهذا مايخالف الإسلام وعقائده، وتُعلَن نهاية التاريخ والإنسان. وبالطبع كان المتطرفون اليهود أول من أعلن بوضوح كبير عن هذه الرؤية الخطيرة، فقد اعتبر بعض اليهود أن حدث المحرقة كان نهاية التاريخ اليهودي ونهاية وجود الرب نفسه الذي لم يعد هناك مبرر لوجوده حسب فلسفتهم. ورأى بعض فلاسفتهم أن الرب قد أحرق مع شعبه اليهودي داخل المحرقة النازية ولم يعد موجوداً.!.

وقد بـرّرت هـذه العقائـد الجديـدة للإنـسان المتـسمم بهـا أن يرتكـب المجـازر والمذابح وأن يرتكب كل المحرّمات ومن هنا كان انتشار ظاهرة الإباحية الجنسية عند اليهود في بداية الأمر ثم انتقلت إلى مسيحيي الغرب. فقد أطلقها العقل المتطرف اليهودي وسمم بها العقل المسيحي الغربي. وضمن هذا الإطار ظهرت في الغرب أيديولوجيات علمانية شاملة (مثل الماركسية أو الاشتراكية العلمية والفاشية والنازية) وكلها ذات رؤية خلاصية تدور حول مطلق علماني مادي شامل، وتنطلق من الإيمان بالعلم والتكنولوجيا والتنظيم. لكنّ تَزايُد معدلات العلمنة الشاملة، وضع الغرب أمام معضلة جديدة فلم يَعُد من الممكن تصنيف البشر على أساس ديني وبنفس الوقت لم يكن ثمة مفر من تصنيفهم على أساس مادي موضوعي طبيعي. وتلك المعضلة كانت تهدد اليهودية بالدرجة الأولى وتؤدي إلى اضمحلالها في المجتمع المادي العلماني. ومن هنا انطلقت الحلول اليهودية الصرفة .وطُرحت الأساس البيولوجي العرْقي أساساً وحيداً وأكيداً لتصنيف أبناء المجتمع. وكان هذا الطرح يتناسب مع اليهودية التي تعتبر العرقية واحدة من أهم أركانها. وهنا لابد لنا من ذكر ماحصل في شمال العراق، فقد دعم المحتل الأمريكي قيام كيان كردي مستقل على أساس عرقي في شمال العراق. وتم منحه كافة الصلاحيات التي تجعل منه دولة مستقلة مادياً وعسكرياً وأقليمياً. بل تجرأ الأكراد على بيع البترول من مناطقهم وقبض أثمانه ، ثم بدؤا بطرد العرب من الموصل. وماكان لهذا أن يحصل إلا بعدما فرض الأمريكيون والصهاينة مباديء العنصرية والعدائية والطائفية في المنطقة.

ومع تَصاعُد معدلات العلمنة في الغرب ظهرت كذلك فكرة الشعب العضوي الذي تربطه بأرضه وثقافته رابطة عضوية حتمية لا تنفصم عراها. وقد جاء هذا المبدأ متفقاً أيضاً مع الصهيونية، التي سعت بواسطته لاحتلال أرض فلسطين. وتم قبوله في الغرب رغم أنه يخالف العلمانية الحديثة كلها، لأنه هو الذي سيبرر للصهاينة امتلاك أرض فلسطين باعتبارها الرابط العضوي لهم. وعندما تمّ إفراغ المواطن الغربي من الديانة المسيحية فإنه لن يظلّ بدون عقيدة بل هو يسعى لاعتناق

عقيدة دينية تملأ فيه الفراغ الفطري الإنساني. ومن هنا كان اتجاه الغربي نحو الإسلام. فيصبح الأذى الذي صنعته الصهيونية في الفكر المسيحي الغربي سبباً لانتشار الإسلام كفكر يصلح كلّ التشوهات التي أحدثتها الصهيونية. واليوم تنشر الصهيونية عقيدة مشوهة أخرى وهي المسيحية الصهيونية، ويكثر أتباعها في الولايات المتحدة على وجه الخصوص. وبنفس الوقت فإنها ستكون عاملاً جديداً وسبباً اضافياً في البحث عن العقيدة الصحيحة، وعندئذ سيكون الإسلام هو الدين البديل الذي سيختاره أولئك التائهون والضالون.

نشر المبدأ الإبادوي

لم يعرف تاريخ شعوب العالم كلها فكراً ومبدأ ابادياً مثلما عرفه اليهود. فهم وحدهم الذين اختصّوا بالاعتقاد بالإبادة والتحدث بها، فلأنهم كشعب وعرق يحملون هذا المبدأ وهم كيهود يثبتونه في نصوصهم التوراتية. ولأنهم يحرقون الأضحية ويقومون بإبادتها وتحويلها إلى رماد، ويعتقدون بأن الرب أمرهم بذلك فهم يسحبون مبدأ الإبادة على الغير ليصبح ممكناً تحقيقه على البشر جميعاً. هذا إضافة إلى أنهم يعتقدون بأن الرب أمرهم بإبادة شعوب كثيرة في نصوص العهد القديم. فهم يمارسون طرق إبادة مستمرة على الشعوب الكثيرة دون رادع أخلاقي أو حضاري. ففي جنوب لبنان قامت قوات اسرائيلية عدة مرات بتدمير مراكز وآليات وبقتل جنود تابعين للأمم المتحدة.رغم أنّ هؤلاء لايشتركون في الحروب معها.وفي فلسطين المحتلة قتلت اسرائيل عدة مرات مراسلين وغربيين رغم حيادهم الواضح.كما إنّ نشر الفكر الصهيوني وفلسفة الإبادة على حساب المسيحية ماهو إلاّ مشروع لإبادة المسيحية نفسها.

وكانت صورة الإبادة تتجلى باستمرار في كافة النتاجات اليهودية اليومية. ومنهم انتقلت إلى المجتمع السياسي الغربي، وكان ذلك بفضل الاحتكاك الكبير بين يهود أوروبا وأبناء الغرب المسيحيين. كما وساهم المفكرون والفلاسفة اليهود في نشر مصطلحات ومفاهيم الإبادة في الذهن الغربي المسيحي. وفي القرون الأخيرة

تشرب الغرب هذه المبادئ، وتبناها واعتمد عليها كمبرر في تنفيذ أعمال إبادة إجرامية عديدة رغم أنها تخالف عقيدته المسيحية السمحة. وتخالف قيمه الحضارية التي ينادي بها.وبسبب ذلك المدّ الفكري الصهيوني أصبح الغربي يمارس الإبادة تلقائياً وبدون أيّ رادع أخلاقي أو ديني أو حضاري، ومن هنا نفسّر جرائم الإبادة الحقيقية التي يقوم بها جنود أمريكيون في العراق وأفغانستان. ففي هذا اليوم بالذات٢٠ آذار ٢٠٠٧ أعلن عن محاكمة جندي أمريكي لقتله عشرة مواطنين سجناء عراقيين دون سبب. وعندما أصبحت الابادة ممارسة يومية في العراق كان لابدّ من انتقال عدواها إلى العراقيين أنفسهم، فأصبح الجندي العراقي الذي يحضر أعمال الإبادة على يد الأمريكيين أصبح يقوم بها وأيضاً بدون رادع ديني أو وطني، لأن الأمريكي برر للعراقي القتل بدون وجود للرادع.ثم انتقلت تلك الحمّى إلى الميليشيات والأفراد وإلى الجماعات التي تحمل أيديولوجيات دينية إسلامية، فرغم أنّ الإسلام يحرم عليهم اغتيال المسجد بكلّ من فيه ومافيه، رأيناهم يجدون مبررات للإبادة، وهذا السياق الذي بدأ في الذهن الصهيوني والذي امتدّ ليصل في النهاية إلى الجماعات الإسلامية، يعكس الخطر الصهيوني على البشرية كلها.ويوجب علينا أن نحذر منه باستمرار.

ويستند الاستعمار الاستيطاني الغربي أيضاً إلى الإبادة، فهذا ما فعله سكان أمريكا الشمالية البيض بالسكان الأصليين، وهي عملية استمرت حتى أواخر القرن التاسع عشر ، فقد استخدم المستوطنون الجدد كافة طرق الإبادة البشعة في القارة الجديدة. كما أبادوا عشرات الملايين في قارة أفريقيا. كما ومارس اليهود أنفسهم عمليات إبادة كثيرة في الأراضي الفلسطينية التي اغتصبوها وفي لبنان .

ومن سمات مفهوم الإبادة الحديثة الذي أنتجته اليهودية، أنها ارتبطت بأيديولوجيات فكرية وسياسية منهجية، وأرادت تحييد الواقع كله (الإنسان والطبيعة) وتحويله إلى مادة استعمالية ليست لها قداسة خاصة، وذلك حتى يمكن التحكم (الإمبريالي) فيه وإخضاعه للتجريب بلا تمييز بين الإنسان والحيوان، وهذه المفاهيم تبيح تحويل كل شيء ضمن ذلك الإنسان، إلى وسيلة. ومن ثم فهناك فارق

ضخم بين الإبادة (الحديثة) وبين المذابح وأعمال الجنود في المجتمعات التقليدية القديمة. وعن الإبادة العنصرية تحدث الباحث اليهودي الإسرائيلي إيلان بابية عدة مرات عن أعمال التصفية العنصرية والإبادة المتعمدة والمنظمة التي تمارسها الصهيونية في فلسطين وتسعى بواسطتها لتصفية العرب الفلسطينيين.

نشر الأسطورة في الثقافة الإسلامية

انتشرت في السنوات الأخيرة في المجتمع العربي عقائد وأفكار تحمل ظاهراً صفة الإسلامية، لكنها في حقيقتها لاتمتّ إلى الإسلام بصلة، وإنما هي أساطير من صنع الصهيونية العالمية، وإن هذه الأساطير إلا نوع من الأسلحة الموجّهة ضدنا.ويغفل من ينشر هذه الأساطير من مواطنينا ويدافع عنها بأنه بذلك يقوم بالدفاع عن الصهيونية نفسها.

وكلنا يذكر كيف قام الغزاة الأمريكيون وأعوانهم باقتحام متحف بغداد وبتدمير قسم من آثاره التي هي هوية العراق التاريخية، وقاموا بسرقة كنوزه بهدف تجريد العراق من ثقافته التاريخية ومن هويته العريقة. وما ذلك الفعل إلاً جزء من المشروع الصهيوأمريكي الذي يسعى لتجريد العراق من ثقافته وعلمانيته وفكره. وإحلال ثقافة الأسطورة الخرافية محلها.

مسرحية تكشف جرائم الغرب ضد المسلمين

تعرض في مسارح الغرب مسرحية بعنوان (ماركس في سوهو).لمؤلفها "هوارد زينّ" وهي تكشف سرّ استخدام الأمريكيين للأسطورة الصهيونية، في حربهم ضد العراق والبلاد الإسلامية. وتشير في الوقت نفسه إلى التحالف الأمريكي الصهيوني التام في الإعداد لمعركة مقدسة صهيونياً، ولاتخدم الا الصهيونية وحدها.